الأربعون

في علاج الهم والغم والحزن والاكتئاب والأمراض النفسية

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"وإنما تحصل الهموم والغموم والأحزان من جهتين:

إحداهما: الرغبة في الدنيا والحرص عليها.

والثاني: التقصير في أعمال البر والطاعة".

جمع وإعداد

طاهر بن نجم الدين بن نصر اَلْمَحَسِي

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"وإنما تحصل الهموم والغموم والأحزان من جهتين:

إحداهما: الرغبة في الدنيا والحرص عليها.

والثاني: التقصير في أعمال البر والطاعة".

"٢٣"

الأربعون

في علاج الهم والغم والحزن والاكتئاب والأمراض النفسية

جمع وإعداد
طاهر بن نجم الدين بن نصر اَلْمَحَسِي

www.alukah.net

مدخـــل

من درر العلامة ابن القيم عن الأحزان والهموم
فهد بن عبدالعزيز بن عبدالله الشويرخ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين...أما بعد: فمن المواضيع التي تكلم عليها العلامة ابن القيم رحمه في أكثر من كتاب من مصنفاته موضوع: الأحزان والهموم والغموم: وقد يسر الله الكريم فجمعت بعضاً مما ذكره في تلك الكتب أسأل الله أن ينفع بها الجميع

الهموم والأحزان عقوبات عاجلة:

الغموم والهموم والأحزان والضيق عقوبات عاجلة ونار دنيوية وجهنم حاضرة.

[الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب]

www.alukah.net

كراهة أمر مضى يحدث الحزن وتوقع مكروه في المستقبل يحدث الهم:

المكروه الوارد على القلب ينقسم باعتبار سببه إلى قسمين: فإنه إما أن يكون سببه أمراً ماضياً فهو يُحدثُ الحزن وإما أن يكون توقع أمر مستقبل فهو يحدث الهم.

[زاد المعاد في هدي خير العباد]

الهمّ والحزن يسطلهما الله على القلوب الفارغة من محبته وخوفه ورجائه:

من حكمة العزيز الحكيم أن سلَّط هذين الجندين على القلوب المعرضة عنه الفارغة من محبته وخوفه ورجائه والإنابة إليه والتوكل عليه والأنس به والفرار إليه ليردها بما يبتليها من الهموم. والأحزان والآلام القلبية عن كثير من معاصيها وشهواتها.

القلب خُلِقَ لمعرفة فاطره ومحبته وتوحيده والسرور به والابتهاج بحبه والرضي عنه والتوكل عليه ودوام ذكره وأن يكون أحبَّ إليه من كل ما سواه وهذا بمنزلة الغذاء والصحة...فإذا فقد غذاءه... فالهموم والغموم والأحزان مسارعة من كل صوبٍ إليه.

[زاد المعاد في هدي خير العباد]

الكسالى أكثر الناس هماً غماً وحزناً:

تجد الكسالى أكثر الناس همّاً وغمّاً وحزناً ليس لهم فرح ولا سرور بخلاف أرباب النشاط والجدِّ في العمل أيِّ عمل فإن كان النشاط في عمل هم عالمون بحسن عواقبه وحلاوة غايته كان التذاذُهم بحبِّه ونشاطهم فيه أقوى.

[روضة المحبين ونزهة المشتاقين]

من أسباب الهموم والغموم والأحزان:

تحصل الهموم والغموم والأحزان من جهتين:

أحدهما: الرغبة في الدنيا والحرص عليها.

الثاني: التقصير في أعمال البر والطاعة.

[عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين]

معاشرة الثقلاء تجلب الهموم والعموم:

الثقلاء والبغضاء معاشرتهم توهن القوى وتجلب الهم والغم وهي للروح بمنزلة الحمى للبدن وبمنزلة الرائحة الكريهة.

www.alukah.net

[زاد المعاد في هدي خير العباد]

فضول النظر والكلام والاستماع والمخالطة تجلب الغموم والهموم:

ترك فضول النظر والكلام والاستماع والمخالطة والأكل والنوم فإن هذه الفضول تستحيل آلاماً وغموماً وهموماً في القلب تحصره وتحبسه وتضيقه ويتعذب بها بل غالب عذاب الدنيا والآخرة منها.

[زاد المعاد في هدي خير العباد]

الهمُّ والحزنُ يضعفان العزم ويُوهنان القلب:

الحزن...نهى سبحانه عنه في غير موضع كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقال تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] وقال تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ الله﴾ [التوبة: ٤٠] فالحزن هو بلية من البلايا التي نسأل الله دفعها وكشفها ولهذا يقول أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] فحمدوه سبحانه أن أذهب عنهم تلك البلية ونجاهم منها وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه (اللهم إني

أعوذ بك من الهم والحزن) فالهم والحزن قرينان وهما الألم الوارد على القلب فإن كان على ما مضى فهو الحزن وإن كان على ما يستقبل فهو الهم فالنبي ﷺ جعل الحزن مما يستعاذ منه وذلك لأن الحزن يُضعف القلب ويُوهن العزم ويغير الإرادة ولا شيء أحبُّ إلى الشيطان من حزن المؤمن قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المجادلة: ١٠] فالحزن مرض من أمراض القلب يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره والثواب عليه ثواب على المصائب التي يبتلى العبد بها بغير اختياره كالمرض والألم ونحوهما.

[طريق الهجرتين وباب السعادتين]

وقال رحمه الله: الهمُّ والحزنُ يضعفان العزم ويُوهنان القلب ويحولان بين العبد وبين الاجتهاد فيما ينفعه ويقطعان عليه طريق السير أو ينكسانه إلى وراء أو يعوقانه ويقفانه أو يحجبانه عن العلم الذي كلما رآهُ شمَّر إليه وجدَّ في سيره فهما حِمل ثقيل على ظهر السائر.[زاد المعاد في هدي خير العباد]

www.alukah.net

التوحيد والاستغفار أعظم دواء لإزالة الهموم والغموم والأحزان:

الهم يكون على مكروه يُتوقع في المستقبل يهتم به القلب، والحزن على مكروه ماضٍ من فوات محبوب، أو حصول مكروه إذا تذكره أحدث له حزنًا، والغم يكون على مكروه حاصل في الحال يوجب لصاحبه الغم، فهذه المكروهات هي من أعظم أمراض القلب وأدوائه، وقد تنوع الناس في طرق أدويتها والخلاص منها، وتباينت طرقهم في ذلك تباينًا لا يحصيه إلا الله، بل كل أحد يسعى في التخلص منها بما يظن أو يتوهم أنه يخلصه منها، وأكثر الطرق والأدوية التي يستعملها الناس في الخلاص منها لا يزيدها إلا شدة لمن يتداوى منها بالمعاصي على اختلافها من أكبر كبائرها إلى أصغرها، وكمن يتداوى منها باللغو واللعب، والغناء وسماع الأصوات المطربة، ونحو ذلك، فأكثر سعي بني آدم أو كله إنما هو لدفع هذه الأمور والتخلص منها، وكلهم قد أخطأ الطريق إلا من سعى في إزالتها بالدواء الذي وصفه الله لإزالتها، وهو دواء مركب من مجموع أمور متى نقص منها جزء، نقص من الشفاء بقدره، وأعظم أجزاء هذا الدواء هو التوحيد والاستغفار.

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، وفي الحديث: (فإن الشيطان يقول: أهلكتُ بني آدم بالذنوب، وأهلكوني بالاستغفار وبلا إله إلا الله...)... فالتوحيد يُدخل العبد على الله، والاستغفار والتوبة يرفع المانع ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه، فإذا وصل القلب إليه زال عنه همه وغمه وحزنه، وإذا انقطع عنه حضرته الهموم والغموم والأحزان، وأتته من كل طريق، ودخلت عليه من كل باب.

[شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل]

وقال رحمه الله: أعظم أسباب شرح الصدر التوحيد وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه

[زاد المعاد في هدي خير العباد]

www.alukah.net

أشرح الناس صدراً وأرفعهم ذكراً أتبعهم لرسول الله ﷺ:

أتبع الناس لرسوله ﷺ أشرحُهم صدراً وأوضعهم وزراً وأرفعهم ذكراً وكلما قويت متابعتُه علماً وعملاً وحالاً واجتهاداً قويت هذه الثلاثة حتى يصير صاحبُها أشرح الناس صدراً وأرفعهم في العالمين ذكراً وأما وضع وزره فكيف لا يوضع عنه وزره ومن في السماوات والأرض ودواب البر والبحر يستغفرون له؟

وهذه الأمور الثلاثة متلازمة كما أضدادها متلازمة فالأوزار والخطايا تقبضُ الصدر وتُضيقه وتُخمل الذكر وتضعُه وكذلك ضيق الصدر يضع الذكر ويجلب الوزر فما وقع أحد في الذنوب والأوزار إلا من ضيق صدره وعدم انشراحه وكلما ازداد الصدر ضيقاً كان أدعى إلى الذنوب والأوزار لأن مرتكبها إنما يقصد بها شرح صدره ودفع ما هو فيه من الضيق والحرج وإلا فلو اتسع بالتوحيد والإيمان ومحبة الله ومعرفته وانشرح بذلك لا ستغنى عن شرحه بالأوزار

[الكلام على مسألة السماع]

وقال رحمه الله: رسول الله ﷺ كان أكمل الخلق في كل صفة يحصل بها انشراح الصدر وقُرة العين وأكملُ الخلق متابعة له أكملهم انشراحاً ولذة وقرة عين وعلى حسب متابعته ينالُ العبد من انشراح صدره وقُرة عينه ولذة روحه ما ينال.[زاد المعاد في هدي خير العباد]

من سلم أمره لله استراح من الهموم والغموم:

من...علم أن الله على كل شيء قدير وأنه المتفرد بالاختيار والتدبير وأن تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه وأنه أعلم بمصلحته من العبد وأقدر على جلبها وتحصيلها منه وأنصح للعبد منه لنفسه وأرحم به منه لنفسه وأبرُّ به منه بنفسه وعلم مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدي تدبيره خطوة واحدة ولا يتأخر عن تدبيره له خطوة واحدة فلا متقدم له بين يدي قضائه وقدره ولا متأخر فألقى نفسه بين يديه وسلَّم الأمر كله إليه وانطرح بين يديه انطراح عبد مملوك ضعيف بين يدي ملك عزيز قاهر له التصرف في عبده بكل ما يشاء وليس للعبد التصرف فيه بوجه من الوجوه فاستراح حينئذ من الهموم والغموم والأنكاد والحسرات وحمل كلَّه وحوائجه ومصالحه

www.alukah.net

من لا يبالي بحملها ولا تُثقله ولا يكترثُ بها فتولاها دونه وأراه لطفه وبره ورحمته وإحسانه فيها من غير تعب من العبد ولا نصب ولا اهتمام منه لأنه صرف اهتمامه كله إليه وجعله وحده همه فصرف عنه اهتمامه بحوائجه ومصالح دنياه وفرَّغ قلبه منها فما أطيب عيشه! وما أنعم قلبه وأعظم سروره وفرحه.

وإن أبى إلا تدبيره لنفسه واختياره لها واهتمامه بحظه دون حق ربه خلاّه وما اختاره وولاه ما تولى فحضره الهمُّ والغمُّ والحزنُ والنكدُ والخوف والتعب وكسفُ البال وسوءُ الحال فلا قلب يصفو ولا عمل يزكو ولا أمل يحصل ولا راحة يفوز بها ولا لذة يتهنأ بها بل قد حيل بينه وبين مسرته وفرحه وقرة عينه [الفوائد]

الإيمان بالقدر والرضى والصبر تدفع الأحزان:

ما مضى لا يُدفع بالحزن بل بالرضى والحمد والصبر والإيمان بالقدر وقول العبد: قَدرُ الله وما شاءَ فَعَلَ.[زاد المعاد في هدي خير العباد]

سؤال الله عز وجل ذهاب الحزن والهمّ والغمّ بالقرآن:

قوله ﷺ: (وأن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي) لما كان الحزنُ والهمَ والغمَ يضادُّ حياة القلب واستنارته سأل أن يكون ذهابها بالقرآن فإنها أحرى أن لا تعود وأما إذا ذهبت بغير القرآن من صحةٍ أو دنيا أو جاه أو زوجةٍ أو ولدٍ فإنها تعود بذهاب ذلك.

[الفوائد]

الصلاة على النبي ﷺ تذهب الهمّ:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: (ما شئت)، قلت: الرُّبع؟ قال: (ما شئت، وإن زدت فهم خير)، قلت: النصف؟ قال: (ما شئت، وإن زدت فهو خير)، قال: أجعل لك صلاتي كلها، قال: (إذًا تُكفى همَّك، ويُغفر لك ذنبُك)؛ أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح

www.alukah.net

وسئل شيخنا أبو العباس عن تفسير هذا الحديث، فقال: كان لأُبي بن كعب دعاء يدعو به لنفسه، فسأل النبي ﷺ: هل يجعل له منه ربعه صلاة عليه ﷺ؟ فقال: (إن زدت فهو خير لك)، فقال له: النصف؟ فقال: (إن زدت فهو خير لك) إلى أن قال: أجعل لك صلاتي كلها؛ أي: أجعل دعائي كله صلاةً عليك، قال: (إذًا تُكفى همَّك، ويُغفَر لك ذنبُك)؛ لأن من صلى على النبي ﷺ صلاةً، صلى الله عليه بها عشرًا ومن صلى الله عليه كفاه هماه، وغفر له ذنبه، هذا معنى كلامه رضي الله عنه

[جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام]

نفي الخوف والحزن عن متَّبع هدى الله:

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] فالله سبحانه جعل اتباع هداه وعهده الذي عهده إلى آدم سبباً ومقتضياً لعدم الخوف والحزن...وهذا الجزاء ثابت بثبوت الشرط مُنتفٍ بانتفائه.

ونفي الخوف والحزن عن متبع الهدى نفي لجميع أنواع الشرور فإن المكروه الذي ينزلُ بالعبد متى علم بحصوله فهو خائف منه أن يقع به وإذا وقع به فهو حزين على ما أصابه منه فهو دائماً في خوفٍ وحزن فكل خائف حزين وكل حزين خائف وكل من الخوف والحزن يكون على فوات المحبوب وحصول المكروه.

[مفتاح دار السعادة]

التوكل على الله والاستسلام له مما يدفع الهموم:

ما يُستقبل لا يُدفع أيضاً بالهمِّ بل إما أن يكون له حيلة في دفعه فلا يعجز عنه وإما أن لا تكون له حيلة في دفعه فلا يجزع منه...ويأخذُ له عُدته...ويستجن بجُنةٍ حصينة من التوحيد والتوكل والانطراح بين يدي الرب تعالى والاستسلام له.

[زاد المعاد في هدي خير العباد]

الجهاد يدفع الهموم والغموم:

تأثير الجهاد في دفع الهم والغم فأمر معلوم بالوجدان فإن النفس متى تركت صائل الباطل...اشتد همها وغمها وكربها وخوفها فإذا

www.alukah.net

جاهدته لله أبدل الله ذلك الهم والحزن فرحاً ونشاطاً وقوةً فلا شيء أذهب لجوى القلب وغمه وهمه وحزنه من الجهاد[زاد المعاد في هدي خير العباد]

من كان الله معه فالحزن بعيد عنه:

قال تعالى حكاية عن نبيه أنه قال لصاحبه ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ الله﴾ [التوبة: ٤٠] فدل على أنه لا حزن مع الله وأن من كان الله معه فما له وللحزن؟ وإنما الحزن كل الحزن لمن فاته الله فمن حصل الله له فعلى أيّ شيء يحزن؟ ومن فاته الله فبأيّ شيء يفرح؟ قال الله تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ الله وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]

[طريق الهجرتين وباب السعادتين]

دفع الهموم والغموم بالإقبال على الله وإيثار مرضاته على كل شيء:

قال بعض العلماء: فكرت فيما يسعى فيه العقلاء فرأيت سعيهم كله في مطلوب واحد وإن اختلفت طرقهم في تحصيله رأيتهم جميعهم إنما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم فهذا بالأكل والشرب وهذا بالتجارة والكسب وهذا بالنكاح وهذا بسماع الغناء وهذا باللهو

واللعب فقلت: هذا مطلوب العقلاء ولكن الطرق كلها غير موصلة إليه بل لعل أكثرها إنما يوصل إلى ضده ولم أر في جميع هذه الطرق طريقاً موصلةً إلا الإقبال على الله ومعاملته وحده وإيثار مرضاته على كل شيء.

[الداء والدواء]

تطهير القلب من الصفات المذمومة تشرح الصدر:

إخراج دغل القلب من الصفات المذمومة التي توجب ضيقه وعذابه وتحول بينه وبين البُرء فإن الإنسان إذا أتى الأسباب التي تشرح صدره ولم يخرج تلك الأوصاف المذمومة من قلبه لم يحظَ من انشراح صدره بطائل.

[زاد المعاد في هدي خير العباد]

المؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشاً وأنعمهم بالاً وأشرحهم صدراً:

أيّ نعيم أطيب من شرح الصدر؟ وأيّ عذاب أمر من ضيق الصدر؟ المؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشاً وأنعمهم بالاً وأشرحهم

www.alukah.net

صدراً وأسرهم قلباً وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة. قال النبي ﷺ: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا) قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: (مجالس الذكر)

هل النعيم إلا نعيم القلب؟ وهل العذاب إلا عذاب القلب؟ وأي عذاب أشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر وإعراضه عن الله والدار الآخرة وتعلقه بغير الله وانقطاعه عن الله بكل واد منه شعبه وكل شيء تعلق به وأحبه من دون الله فإنه يسومه سوء العذاب.

[الداء والدواء]

الفرح والسرور شفاء للهموم والأحزان:

الغم والهم والحزن أمراض للقلب وشفاؤها بأضدادها من الفرح والسرور فإن كان بحق اشتفى القلب وصحَّ وبرئ من مرضه وإن كان بباطل توارى ذلك واستتر ولم يزل وأعقبه أمراضاً هي أصعب وأخطر.

[إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان]

الإيمان يشرح الصدر:

النور الذي يقذفه الله في قلب العبد وهو نور الإيمان فإنه يشرح الصدر ويُوسعِّه ويُفرح القلب فإذا فُقد هذا النور من قلب العبد ضاق وخرج وصار في ضيق سجن وأصعبه.

[زاد المعاد في هدي خير العباد]

العلم يشرح الصدر ويوسعه:

العلم يشرح الصدر ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا والجهل يورثه الضيق فكلما اتسع علم العبد انشرح صدره واتسع وليس هذا لكل علم بل للعلم المورث عن الرسول ﷺ وهو العلم النافع فأهله أشرحُ الناس صدراً.

[زاد المعاد في هدي خير العباد]

دوام ذكر الله عز وجل له تأثير عجيب في شرح الصدر:

دوام ذكره على كل حال وفي كل موطن فللذكر تأثير عجيب في انشراح الصدر ونعيم القلب وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه وحبسه وعذابه.

www.alukah.net

[زاد المعاد في هدي خير العباد]

محبة الله عز وجل أشرحُ شيء لصدر العبد:

للمحبة تأثير عجيب في انشراح الصدر وطيب النفس ونعيم القلب لا يعرفه إلا من له حِسّ به وكلما كانت المحبَّة أقوى وأشدَّ كان الصدر أفسح وأشرح ولا يضيق إلا عند رؤية البطالين الفارغين من هذا الشأن فرؤيتهم قذى عينه ومخالطتهم حمى روحه

الإنابة إلى الله سبحانه وتعالى ومحبته بكل القلب والإقبال عليه والتنعم بعبادته فلا شيء أشرحُ لصدر العبد من ذلك.[زاد المعاد في هدي خير العباد]

الصلاة تدفع الهموم والأحزان والغموم:

في لذة ذكر الله والإقبال عليه والصلاة بالقلب والبدن من المنفعة الشريفة العظيمة السالمة عن المفاسد الدافعة للمضار غنىّ وعِوض للإنسان – الذي هو إنسان.... واللذة الحاصلة بذكر الله والصلاة... أدفع للهموم والغموم والأحزان.

[روضة المحبين ونزهة المشتاقين]

الشجاعة تشرح الصدر:

الشجاعة: فإن الشجاع منشرح الصدر واسع البطان متَّسع القلب والجبان: أضيق الناس صدراً وأحصرهم قلباً لا فرحة له ولا سرور ولا لذة له.

[زاد المعاد في هدي خير العباد]

الإحسان إلى الناس يشرح الصدر:

الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع بالبدن وأنواع الإحسان فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدراً وأطيبهم نفساً وأنعمهم قلباً والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق الناس صدراً وأنكدهم عيشاً وأعظمهم همّاً وغمّاً.

[زاد المعاد في هدي خير العباد]

تسلية المهموم تُذهب همَّه:

قال يعقوب بن بختان: "وُلد لي سبع بنات، فكنت كلما وُلد لي ابنة، دخلت على أحمد بن حنبل فيقول لي: يا أبا يوسف، الأنبياءُ آباءُ بناتٍ، فكان يُذهب قوله همِّي".

www.alukah.net

وختاماً فالحذر من إزالة الهموم بالذنوب فإنها لا تزول ولكنها تتوارى ثم تعود أعظم مما كانت يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: السُّكر... صاحبها يحصل له لذة وسرور بها يحمله على تناولها لأنها تغيب عنه عقله فتغيب عنه الهموم والغموم والأحزان تلك الساعة ولكن يغلطُ في ذلك فإنها لا تزولُ ولكن تتوارى فإذا صحا عادت أعظم ما كانت فيدعوه عودُها إلى العود كما قال الشاعر:

وكأسٍ شربتُ على لذةٍ وأُخرى تداويتُ منها بها

وتلك اللذة أجلبُ شيءٍ للهموم والغموم عاجلاً وآجلاً[روضة المحبين ونزهة المشتاقين

كتبه / فهد بن عبدالعزيز بن عبدالله الشويرخ – حفظه الله ووفقه –.

كن مع الله في طاعته ومرضاته

الحديث الأول

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قال: "قُلتُ للنَّبيِّ ﷺ وأَنَا في الغَارِ: لو أنَّ أحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: "ما ظَنُّكَ يا أبَا بَكْرٍ باثْنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا؟!".

أخرجه الإمام البخاري (٣٦٥٣)، والإمام مسلم (٢٣٨١).

مَنِ اعتَصمَ بالله تعالَى كَفاه عمَّن سِواه؛ فهو نِعمَ النَّاصرُ، ونِعمَ المُعينُ، ومَعيَّتُه تعالَى هي المَعيَّةُ الحَقيقيَّةُ، وما سِواها مَعيَّةٌ كاذِبةٌ زائفةٌ، وكان ﷺ إمامَ المُتوكِّلينَ على الله تعالَى، يَعلَمُ أنَّه ناصِرٌ عبْدَه، وأنَّه معَه بنَصْرِه وقُدْرتِه وحِمايتِه في كلِّ وَقتٍ وحِينٍ.

وفي هذا الحَديثِ يَرْوي أبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ رَضيَ الله عنه أنَّه لَمَّا اقتَرَبَ المُشرِكونَ مِن النَّبيِّ ﷺ وأبي بَكرٍ رَضيَ الله عنه، وهما في غارِ ثَورٍ أثْناءَ هِجرَتِهما إلى المَدينةِ، وخَشيَ أبو بَكرٍ رَضيَ الله عنه مِن رُؤْيتِهما

www.alukah.net

لهما لقُربِهما الشَّديدِ؛ قال للنَّبيِّ ﷺ: "لو أنَّ أحَدَهم نَظَر تحْتَ قدَمَيْه لَأبْصَرَنا"، فقال له ﷺ: "ما ظنُّكَ يا أبا بَكرٍ باثْنَينِ الله ثالثُهما؟!"أي: ما تظُنُّ أنْ يكونَ حالُنا والله تعالَى معَنا بنَصْرِه ولُطفِهِ؟! فإنَّه قادرٌ على صَرْفِهم عنَّا، وتَبليغِنا مُرادَنا بفَضلِه ورَحمتِه، وهذا ما حصَل، فنِعمَ حُسنُ الظَّنِّ برَبِّ السَّمَواتِ ورَبِّ الأرضِ ربِّ العَرشِ العَظيم! وقد أشارَ القُرآنُ إلى ذلك في قولِه تعالَى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وفي الحَديثِ: كَمالُ تَوكُّلِ النَّبيِّ ﷺ على رَبِّه، واعْتِمادِه عليه، وتَفْويضِه أمْرَه إليه.

وفيه: مَنقَبةٌ ظاهِرةٌ لأبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ رَضيَ الله عنه.

وفيه: الفِرارُ بالدِّينِ خَوفًا مِن العَدوِّ، ولا يُلْقي الإنْسانُ بيَدِه إلى العَدوِّ؛ تَوكُّلًا على الله تعالَى، واستِسْلامًا له، ولو شاءَ الله لَعصَمَ رَسولَه ﷺ، معَ كَونِه معَهم، ولكنَّها سُنَّةُ الله في الأنْبياءِ وغَيرِهم، ولنْ تَجِدَ لسُنَّةِ الله تَبْديلًا.

حسن الظن بالله في
رفع الهم والحزن عنك

الحديث الثاني

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال: "يقولُ الله تَعالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً".

أخرجه الإمام البخاري (٧٤٠٥)، والإمام مسلم (٢٦٧٥).

في هذا الحَديثِ القُدسيِّ يَروي النَّبيُّ ﷺ عن رَبِّه سُبحانَه وَتَعالَى أنَّه يَقولُ: "أنا عِندَ ظَنِّ عَبْدي بي"، يَعني: إن ظَنَّ بالله خَيرًا فَلَه، وإن ظَنَّ

www.alukah.net

به سِوَى ذلك فَلَه، وحُسنُ الظَّنِّ بالله عزَّ وجلَّ يَكونُ بفِعلِ ما يُوجِبُ فَضلَ الله وَرَجاءَه، فيَعمَلُ الصَّالِحاتِ، ويُحسِنُ الظَّنَّ بأنَّ الله تَعالَى يَقبَلُه، فالله سُبحانَه عِندَ مُنتهَى أمَلِ العَبدِ به، وعلى قَدرِ ظَنِّ واعتِقادِ العَبدِ فيه، ويَكونُ عَطاءُ الله وجَزاؤُه من جِنسِ ما يَظُنُّه العَبدُ في الله ثَوابًا أو عِقابًا، خَيرًا أو شَرًّا، فمَن ظنَّ بالله أمرًا عَظيمًا وَجَدَه وأعْطاه الله إيَّاهُ، والله لا يَتعاظَمُه شَيءٌ، أمَّا أن يُحسِنَ الظَّنَّ وهو لا يَعمَلُ، فهذا من بابِ التَّمَنِّي على الله، ومَن أتبَعَ نَفسَه هَواها، وتَمَنَّى على الله الأمانيَّ فهو عاجِزٌ.

الحديث الثالث

عن أسماء بنت عُمَيسٍ رضي الله عنها قالت: قال لي رسولُ الله ﷺ: "ألا أعلِّمُكِ كلماتٍ تقولينَهُنَّ عندَ الكَربِ - أو في الكَربِ - الله الله ربي لا أشرِكُ به شيئاً".

أخرجه الإمام أحمد (١٦ / ٤٥)، وأبوداود (١٥٢٥)، وصححه الألباني.

وفي لفظ: عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: "مَنْ أَصَابَهُ غَمٌّ، أَوْ هَمٌّ، أَوْ سَقَمٌ، أَوْ شِدَّةٌ، فَقَالَ: الله رَبِّي لَا شَرِيكَ لَهُ، كُشِفَ ذَلِكَ عَنْهُ".

أخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" (٤/ ٣٢٨-٣٢٩)، والطبراني في "الدعاء" (ص ٣١٣)، وابن أبي الدنيا في "الفرج بعد الشدة" (ص ٥٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحديث الرابع

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "إذا أصاب أحدَكم غمٌّ أو كَربٌ فليقُلِ: الله، الله ربِّي لا أُشرِكُ به شيئًا".

أخرجه ابن حبان (٨٦٤)، وصححه الألباني.

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: "إذا أصاب أحدَكم غَمٌّ أو كَرْبٌ"، أي: أصابَه الحُزْنُ وضِيقُ النَّفْسِ؛ لمُصِيبةٍ ألَّمت به،"فلْيَقُلْ: الله، الله"وكرَّر لَفظَ الجلالةِ؛ استِلذاذًا بذِكْرِه، واستحضارًا لِعَظَمتِه، وتأكيدًا للتَّوحيدِ؛ فإنَّه الاسمُ الجامعُ لجميعِ الصِّفاتِ الجَلاليَّةِ والجَماليَّةِ والكَماليَّةِ،"ربِّي"، أي: هو ربِّي المُحسِنُ إلَيَّ بإيجادِي مِن العدَمِ، وتَوفيقي لِتَوحيدِه وذِكْرِه، والمربِّي لي بجَلائلِ نِعَمِه، والمالِكُ الحقيقيُّ لِشأْني كلِّه، ثم أفصَحَ بالتَّوحيدِ فقال: "لا أُشرِكُ به شيئًا"، أي: ليس معه أحدٌ يُشارِكُه في كَمالِه وجَلالِه، وجَمالِه وعُبوديَّتِه، وما

يجِبُ له وما يَستحيلُ عليه، والمرادُ أنَّ قولَ ذلك يُفرِّجُ الهمَّ والغَمَّ، والضَّنكَ والضِّيقَ إنْ صدَقَت النِّيَّةُ.

وفي الحديثِ: تَربيةٌ نَبويَّةٌ، وإرشادٌ إلى التَّوجُّهِ إلى الله بالدُّعاءِ في النَّوائبِ والمُلِمَّاتِ.

وفيه: بَيانُ الأثرِ النافعِ لذِكْرِ الله.

www.alukah.net

الحديث الخامس

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما،"أنَّ رَسولَ الله ﷺ كانَ يقولُ عِنْدَ الكَرْبِ: "لا إلَهَ إلَّا الله العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إلَهَ إلَّا الله رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إلَهَ إلَّا الله رَبُّ السَّمَوَاتِ ورَبُّ الأرْضِ، ورَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ ".

أخرجه الإمام البخاري (٦٣٤٦)، والإمام مسلم (٢٧٣٠).

واجبُ المسلِمِ إذا وقَعَ في كُربةٍ أو ضاقَتْ به الدُّنيا أنْ يَفزَعَ إلى الله رَبِّه وإلهِه ومَوْلاه؛ فهو وَحْدَه القادِرُ على كَشْفِ الهَمِّ والغَمِّ، والدُّعاءُ مِن أسبابِ رَفْعِ البَلاءِ.

وفي هذا الحَديثِ يروي عبْدُ الله بنُ عَبَّاسٍ رَضِي الله عَنهُما، أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يَقولُ عِندَما يَشْعُرُ باشتِدادِ الغَمِّ عليه، واستيلائِهِ على نَفْسِهِ الشَّريفةِ: "لا إلَهَ إلَّا الله"أي: لا مَعبودَ بِحَقٍّ إلَّا الله"العَظيمُ"القَدْرِ،

الجَليلُ الشَّأنِ في ذاتِه وَصِفاتِه وَأفعالِه،"الحَليمُ"الَّذي لا يُعاجِلُ العاصيَ بِالعُقوبةِ، بَل يُؤَخِّرُها، وَقَدْ يَعْفو عَنه مَعَ القُدرةِ عليهِ؛ فهو القادرُ سُبحانَه على كلِّ شَيءٍ، ثمَّ يُكمِلُ دُعاءَه فيقولُ: "لا إلَهَ إلَّا الله رَبُّ العَرْشِ العَظيمِ، لا إلَهَ إلَّا الله رَبُّ السَّمَواتِ والأرضِ"، أي: لا مَعبودَ بحقٍّ إلَّا الله جلَّ جَلالُه، خالِقُ العَرشِ العَظيمِ الكَريمِ، وخالِقُ السَّمواتِ والأرضِ، وخالِقُ كُلِّ شَيءٍ فيهما، وَمالِكُه، وَمُصلِحُه، والمُتَصَرِّفُ فيه كَيفَ شاءَ، وكما شاءَ،"رَبُّ العَرشِ الكَريمِ"، والعَرْشُ: عرْشُ الرَّحمنِ الذي استوَى عليه جلَّ جَلالُه، وهو أعْلَى المَخلوقاتِ وأكبرُها وأعظمُها، وقد وصَفَه النَّبيُّ ﷺ بأنَّه عَظيمٌ وبأنَّه كريمٌ، أي: وبالعَظَمةِ مِن جِهةِ الكَمِّيَّةِ، وبِالحُسنِ مِن جِهةِ الكَيفيَّةِ.

وهذا الدُّعاءُ مُشتمِلٌ على تَوحيدِ الإلهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ، ووَصْفِ الربِّ سُبحانَه بالعظَمةِ والحِلمِ، وعَظمتُه المطلَقةُ تَستلزِمُ إثباتَ كلِّ كَمالٍ له، وسَلْبَ كلِّ نقْصٍ عنه، وحِلمُه يَستلزِمُ كَمالَ رَحمتِه وإحسانِه إلى خلْقِه؛ فإذا عَلِمَ القلبُ هذا وتحقَّقَه أحَبَّ الله تعالَى وأجَلَّه، فحصَلَ له مِن الابتهاجِ واللَّذةِ والسُّرورِ ما يَدفَعُ عنه ألَمَ الكَرْبِ والهمِّ.

www.alukah.net

الحديث السادس

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "دعوةُ ذي النُّونِ إذ دعا وهو في بطنِ الحوتِ لا إلهَ إلَّا أنتَ سبحانَك إنِّي كنتُ من الظالمينَ فإنَّه لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلَّا استجاب الله له".

أخرجه الترمذي (٣٥٠٥)، وصححه الألباني.

وفي لفظ: "ألا أُخبِرُكم بشيءٍ إذا نزل برجلٍ منكم كربٌ أو بلاءٌ من بلايا الدُّنيا دعا به يُفرَّجُ عنه؟ فقيل له: بلَى، فقال: دعاءُ ذي النُّونِ: لا إلهَ إلَّا أنت سبحانَك إنِّي كنتُ من الظَّالمين".

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله –:

"وَأَمَّا دَعْوَةُ ذِي النُّونِ: فَإِنَّ فِيهَا مِنْ كَمَالِ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ لِلرَّبِّ تَعَالَى وَاعْتِرَافِ الْعَبْدِ بِظُلْمِهِ وَذَنْبِهِ مَا هُوَ مِنْ أَبْلَغِ أَدْوِيَةِ الْكَرْبِ

وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَأَبْلَغِ الْوَسَائِلِ إِلَى الله- سُبْحَانَهُ- فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ، فَإِنَّ التَّوْحِيدَ والتنزيه يتضمنان إثبات كل كمال لله، وَسَلْبَ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ وَتَمْثِيلٍ عَنْهُ. وَالِاعْتِرَافُ بِالظُّلْمِ يَتَضَمَّنُ إِيمَانَ الْعَبْدِ بِالشَّرْعِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَيُوجِبُ انْكِسَارَهُ وَرُجُوعَهُ إِلَى الله، وَاسْتِقَالَتَهُ عَثْرَتَهُ، والاعتراف بعبوديته، وافتقاره إلى ربه، فها هنا أَرْبَعَةُ أُمُورٍ قَدْ وَقَعَ التَّوَسُّلُ بِهَا: التَّوْحِيدُ، وَالتَّنْزِيهُ، وَالْعُبُودِيَّةُ وَالِاعْتِرَافُ".
(زاد المعاد).

www.alukah.net

الحديث السابع

عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "دعواتُ المكروبِ: اللهمَّ رحمتَك أَرجو فلا تَكِلني إلى نَفسِي طرفةَ عينٍ، وأصلِح لي شَأني كلَّه لا إلَه إلَّا أنتَ وبعضُهم يزيدُ علَى صاحبِهِ".

أخرجه أبوداود (٥٠٩٠)، وحسنه الألباني.

كان النَّبيُّ ﷺ يُعلِّمُ أصحابَه رَضِي الله عَنهم دعَواتٍ عِندَ المواقِفِ المختلِفَةِ، وخَصَّ مِن هذه الدَّعواتِ أدعِيَةً عندَ الهمِّ والغمِّ والكَرْبِ؛ حتَّى تَزولَ.

وفي هذا الحديثِ يَقولُ النَّبيُّ ﷺ: "دعَواتُ"، جَمعُ دَعْوةٍ، وهي ما يُدْعَى به، "المَكْروبِ"، أي: الَّذي أصابَه كَرْبٌ، وهو الحُزنُ والغمُّ الذي يَأخُذُ بالنَّفْسِ: "اللهمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجو"، أي: اللهمَّ إنِّي أطمَعُ في رَحمَتِك وآمُلُها،"فلا تَكِلْني إلى نَفْسي"، أي: لا تَترُكْني وَحيدًا

وتُفوِّضْني إلى نَفْسي، "طَرْفةَ عَينٍ"، أي: مِقْدارَ لحظَةٍ أو لَفْتةٍ، "وأصلِحْ لي شَأني كلَّه"، أي: وأصلِحْ لي كلَّ أُموري وأَحْوالي، "لا إِلَهَ إلَّا أنتَ"، أيْ: لا أَعبُدُ غَيرَكَ؛ فأَنتَ الإِلهُ الحقُّ.

www.alukah.net

الحديث الثامن

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: "يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ".

أخرجه الترمذي (٣٥٢٤) وحسَّنه الألباني.

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله –:

"وَفِي تَأْثِيرِ قَوْلِهِ: "يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ"فِي دَفْعِ هَذَا الدَّاءِ مُنَاسَبَةٌ بَدِيعَةٌ، فَإِنَّ صِفَةَ الْحَيَاةِ مُتَضَمِّنَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ، وَلِهَذَا كَانَ اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى: هُوَ اسْمُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ، وَالْحَيَاةُ التَّامَّةُ تُضَادُّ جَمِيعَ الْأَسْقَامِ وَالْآلَامِ، وَلِهَذَا لَمَّا كَمُلَتْ حَيَاةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَمْ يَلْحَقْهُمْ هَمٌّ وَلَا غَمٌّ وَلَا حَزَنٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْآفَاتِ. وَنُقْصَانُ الْحَيَاةِ تَضُرُّ بِالْأَفْعَالِ، وَتُنَافِي الْقَيُّومِيَّةَ، فَكَمَالُ الْقَيُّومِيَّةِ لِكَمَالِ الْحَيَاةِ، فَالْحَيُّ الْمُطْلَقُ التَّامُّ الْحَيَاةِ لَا تَفُوتُهُ صِفَةُ الْكَمَالِ

الْبَتَّةَ، وَالْقَيُّومُ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ فِعْلٌ مُمْكِنٌ الْبَتَّةَ، فَالتَّوَسُّلُ بِصِفَةِ الحياة والقيومية لَهُ تَأْثِيرٌ فِي إِزَالَةِ مَا يُضَادُّ الْحَيَاةَ، وَيَضُرُّ بِالْأَفْعَالِ".

(زاد المعاد).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحديث التاسع

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أتت فاطمةُ النَّبيَّ ﷺ تسألُهُ خادمًا فقالَ لَها: ما عندي ما أعطيكِ. فرجَعت فأتاها بعدَ ذلِكَ فقالَ: الَّذي سألتِ أحبُّ إليكِ أو ما هوَ خيرٌ منهُ؟ فقالَ لَها عليٌّ: قولي لَا بل ما هوَ خيرٌ منهُ فقالَت: فقالَ: قولي: اللهمَّ ربَّ السَّماواتِ السَّبعِ وربَّ العرشِ العظيمِ ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ مُنْزِلَ التَّوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ العظيمِ (مُنزِلَ التَّوراةِ والإنجيلِ والفُرقانِ فالقَ الحَبِّ والنَّوى أعوذُ بكَ مِن شرِّ كلِّ شيءٍ أنتَ آخِذٌ بناصيتِه)،أنتَ الأوَّلُ فليسَ قبلَكَ شيءٌ وأنتَ الآخرُ فليسَ بعدَكَ شيءٌ وأنتَ الظَّاهرُ فليسَ فوقَكَ شيءٌ وأنتَ الباطنُ فليسَ دونَكَ شيءٌ اقضِ عنَّا الدَّينَ وأغنِنا منَ الفقرِ".

أخرجه ابن ماجه (٣٨٣١)، وابن حبان (٩٦٦)، وصححه الألباني.

ثم أمَرَها بالطلبِ بعدَ الثناءِ على الله تعالى والتوسُّلِ، بأنْ تقولَ:

"اقْضِ عنَّا الدَّينَ"، أي: أَدِّ عنَّا الحقوقَ الَّتي بينَنا وبينَك، والحقوقُ الَّتي بينَنا وبينَ عِبادِك، وفي هذا تَبرُّؤُ العبدِ مِن الحولِ والقوَّةِ، وأنَّه لا حولَ له ولا قُوَّةَ له إلَّا بالله العظيم."وأَغْنِنا مِن الفقرِ"، الغِنى: هو عدَمُ الحاجةِ لوجودِ الكفايةِ، والفقرُ: خُلوُّ ذاتِ اليدِ، والفقيرُ مَن وجَد بعضَ كِفايتِه، أو لم يَجِدْ شيئًا، والدَّيْنُ والفقرُ هَمُّهما عَظيمٌ يُصيبُ العبدَ بسَببِهما الهمُّ والحزنُ، وقد يُوقِعانِ الضَّررَ في الدِّينِ والدُّنْيا مِن ذُلِّ السُّؤالِ، والاحتياجِ إلى الخلقِ، والوُقوعِ في المَحذوراتِ الشَّرعيَّةِ مِن الكذبِ والإخلافِ في الوعدِ، والتَّثاقُلِ عن الطَّاعاتِ، وغيرُ ذلك الكثيرُ مِن المذمومات.

وفي الحديثِ: بيانُ فَضلِ الدُّعاءِ وأهمِّيَّتِه في رفعِ وتفريجِ الكرُباتِ.

وفيه: بيانُ آدابِ الدُّعاءِ بالبَدءِ بالتَّوسُّلِ بأسماءِ الله وصفاتِه، ثمَّ طلَبِ الحاجةِ.

www.alukah.net

لا تجعل الدنيا أكبر همك

الحديث العاشر

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ آخِرَتِهِ: كَفَاهُ الله هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا: لَمْ يُبَالِ الله فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ".

أخرجه ابن ماجه (٢٥٧) وحسَّنه الألباني.

الحديث الحادي عشر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ: جَعَلَ الله غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ: جَعَلَ الله فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ".

أخرجه الترمذي (٢٤٦٥)، وأبو داود (١٦٦٨)، وابن ماجه، (٤١٠٥)، وصححه الألباني.

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله –:

إذا أصبح العبد وأمسى وليس همُّه إلا الله وحده: تحمَّل الله سبحانه حوائجه كلها، وحمَل عنه كل ما أهمَّه، وفرَّغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته، وإن أصبح وأمسى والدنيا همُّه: حمَّله الله همومها، وغمومها، وأنكادها، ووكله إلى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة

www.alukah.net

الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم، فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره، كالكير ينفخ بطنه ويعصر أضلاعه في نفع غيره، فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلي بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته قال تعالى: (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) الزخرف/ ٣٦. "الفوائد"(ص ٨٤).

الرضا بالله

الحديث الثاني عشر

عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَن رَضِيَ بالله رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ رَسولًا".

أخرجه الإمام مسلم (٣٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تقديم محبة الله ورسوله

الحديث الثالث عشر

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا للهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ".

أخرجه الإمام البخاري (١٦)، والإمام مسلم (٤٣).

قال شيخ ابن تيمية -رحمه الله-:

"إِذَا لَمْ تَجِدْ لِلْعَمَلِ حَلَاوَةً فِي قَلْبِكَ وَانْشِرَاحًا فَاتَّهِمْهُ، فَإِنَّ الرَّبَّ -تَعَالَى- شَكُورٌ. يَعْنِي أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُثِيبَ الْعَامِلَ عَلَى عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ حَلَاوَةٍ يَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ، وَقُوَّةِ انْشِرَاحٍ وَقُرَّةِ عَيْنٍ. فَحَيْثُ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ فَعَمَلُهُ مَدْخُولٌ".

(مدارج السالكين: ٢/ ٦٨).

قال ابن القيم رحمه الله: (فإنه لا نعيم للعبد ولا لذة ولا ابتهاج ولا كمال إلا بمعرفة الله ومحبته والطمأنينة بذكره، والفرح والابتهاج بقربه، والشوق إلى لقائه، فهذه جنته العاجلة، كما أنه لا نعيم في الآخرة ولا فوز إلا بجواره في دار النعيم في الجنة الآجلة).

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها، لم يدخل جنة الآخرة.

وقال بعض المحبين: مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، قالوا: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله والأنس به، والشوق إلى لقائه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وكل ما له قلب حي يشهد هذا، ويعرفه ذوقا) (تهذيب مدارج السالكين).

ومن لم يجد هذا فليبك على نفسه، وليسع في طلب أسباب حياة قلبه، وليعلم أن فقد حلاوة الطاعة أمارة دخل فيها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والقلب فقير بالذات إلى الله من وجهين من جهة العبادة وهي العلة الغائية ومن جهة الاستعانة

www.alukah.net

والتوكل وهي العلة الفاعلة.

فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسر ولا يلتذ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات، لم يطمئن ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذات إلى ربه من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة) (العبودية).

ويقول ابن القيم: (ففي القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه.. وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها، لم تسد تلك الفاقة منه أبدًا). (تهذيب مدارج السالكين).

الشوق إلى لقاء الله

الحديث الرابع عشر

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: "كانَ النَّبيُّ ﷺ يدعو: اللهمَّ بعِلْمِكَ الغيبَ وقُدْرَتِكَ عَلَى الخلَقِ، أحْيِني ما علِمْتَ الحياةَ خيرًا لِي، وتَوَفَّنِي إذا عَلِمْتَ الوفَاةَ خيرًا لي، اللهمَّ إنِّي أسألُكَ خشْيَتَكَ في الغيبِ والشهادَةِ، و أسألُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا والغضَبِ، وأسألُكَ القصدَ في الفقرِ والغِنَى، وأسألُكَ نعيمًا لَا ينفَدُ، و أسالُكَ قرَّةَ عينٍ لا تنقَطِعُ، وأسألُكَ الرِّضَى بعدَ القضاءِ، وأسألُكَ برْدَ العيشِ بعدَ الموْتِ، وأسألُكَ لذَّةَ النظرِ إلى وجهِكَ، والشوْقَ إلى لقائِكَ في غيرِ ضراءَ مُضِرَّةٍ، ولا فتنةٍ مُضِلَّةٍ، اللهم زيِّنَّا بزينَةِ الإيمانِ، واجعلنا هُداةً مهتدينَ".

www.alukah.net

أخرجه النسائي (١٣٠٥)، وأحمد (١٨٣٥١) باختلاف يسير، وصححه الألباني.

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله تعالى –:

"جمع في هذا الدعاء العظيم القدر بين أطيب شيء في الدنيا: وهو الشوق إلى لقائه سبحانه، وأطيب شيء، في الآخرة وهو النظر إلى وجهه سبحانه.

ولما كان كمال ذلك وتمامه موقوفا على عدم ما يضر في الدنيا ويفتن في الدين،قال: "في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة".

ولما كان كمال العبد في أن يكون عالما بالحق متبعا له معلما لغيره مرشدا له، قال: "واجعلنا هداة مهتدين".

ولما كان الرضى النافع المحصل للمقصود هو الرضى بعد وقوع القضاء لا قبله، فإن ذلك عزم على الرضى، فإذا وقع القضاء انفسخ ذلك العزم، سأل الرضى بعده، فإن المقدور يكتنفه أمران: الاستخارة قبل وقوعه، والرضى بعد وقوعه، فمن سعادة العبد أن يجمع بينهما كما في المسند وغيره عنه: "إن من سعادة ابن آدم استخارة الله ورضاه

بما قضى الله، وإن من شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله وسخطه بما قضى الله تعالى".

ولما كانت خشية الله عز وجل رأس كل خير في المشهد والمغيب سأله خشيته في الغيب والشهادة.

ولما كان أكثر الناس إنما يتكلم بالحق في رضاه، فإذا غضب أخرجه غضبه إلى الباطل، وقد يدخله أيضا رضاه في الباطل، سأل الله عز وجل أن يوفقه لكلمة الحق في الغضب والرضى، ولهذا قال بعض السلف: لا تكن ممن إذا رضي أدخله رضاه في الباطل وإذا غضب أخرجه غضبه من الحق.

ولما كان الفقر والغنى بليتين ومحنتين يبتلي الله بهما عبده ففي الغنى يبسط يده وفي الفقر يقبضها سأل الله عز وجل القصد في الحالتين وهو التوسط الذي ليس معه إسراف ولا تقتير.

ولما كان النعيم نوعين: نوعا للبدن، ونوعا للقلب، وهو قرة العين وكماله بدوامه واستمراره جمع بينهما في قوله أسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع ولما كانت الزينة زينتين زينة البدن وزينة القلب وكانت

www.alukah.net

زينة القلب أعظمها قدرا وأجلها خطرا وإذا حصلت زينة البدن على أكمل الوجوه في العقبى سأل ربه الزينة الباطنة فقال زينا بزينة الإيمان.

ولما كان العيش في هذه الدار لا يبرد لأحد كائنا من كان بل هو محشو بالغصص والنكد ومحفوف بالآلام الباطنة والظاهرة سأل برد العيش بعد الموت.

والمقصود أنه جمع في هذا الدعاء بين أطيب ما في الدنيا وأطيب ما في الآخرة، فإن حاجة العباد إلى ربهم في عبادتهم إياه وتأليههم له كحاجتهم إليه في خلقه لهم ورزقه إياهم ومعافاة أبدانهم وستر عوراتهم وتأمين روعاتهم بل حاجتهم إلى تأليهه ومحبته وعبوديته أعظم فإن ذلك هو الغاية المقصودة لهم ولا صلاح لهم ولا نعيم ولا فلاح ولا لذة ولا سعادة بدون ذلك بحال ولهذا كانت لا اله إلا الله أحسن الحسنات.

(إغاثة اللهفان / ج١/ ص ٢٨/ ٢٩ / ٣٠).

وقال – رحمه الله تعالى –:

"الحقيقة، ولا حياة للعبد أطيب ولا أنعم ولا أهنأ منها. وهي الحياة الطيبة المذكورة في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. ليس المراد منها الحياة المشتركة بين المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، من طيب المأكل والملبس والمشرب والمنكح؛ بل ربما زاد أعداء الله على أوليائه في ذلك أضعافا مضاعفة.

وقد ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحا أن يحييه حياة طيبة، فهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده. وأي حياة أطيب من حياة من اجتمعت همومه كلها، وصارت هما واحدا في مرضاة الله، ولم شعث قلبه بالإقبال على الله، واجتمعت إراداته وأفكاره التي كانت منقسمة –بكل واد منها شعبة– على الله. فصار ذكر محبوبه الأعلى، وحبه، والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه = هو المستولي عليه. وعليه تدور همومه وإراداته وقصوده، بل خطرات قلبه. فإن سكت سكت بالله، وإن نطق نطق بالله. وإن سمع فبه يسمع، وإن أبصر فبه يبصر. وبه

www.alukah.net

يبطش، وبه يمشي، وبه يتحرك، وبه يسكن. وبه يحيا، وبه يموت، وبه يبعث كما في صحيح البخاري عنه - ﷺ - فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: "ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي.

ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه".

فتضمن هذا الحديث الشريف الإلهي -الذي حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به- حصر أسباب محبته في أمرين: أداء فرائضه، والتقرب إليه بالنوافل.

وأخبر سبحانه أن أداء فرائضه أحب ما تقرب به إليه المتقربون، ثم بعدها النوافل؛ وأن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله. فإذا صار محبوبا لله أوجبت محبة الله له محبة أخرى منه لله،

فوق المحبة الأولى، فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه، وملكت عليه روحه، ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة. فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الأعلى مالكا لزمام قلبه، مستوليا على روحه، استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته التي قد اجتمعت قوى حبه كلها له"، انتهى من "الداء والدواء": (٤٢٧ – ٤٣٨)

وانظر: "مدارج السالكين" (١/ ٤٢٩).

قال الحافظ ابن رجب – رحمه الله–:

"وأما الشوق إِلَى لقاء الله في الدُّنْيَا فهو أعظم لذّة تحصل للعارفين في الدُّنْيَا، فمن أنس بالله في الدُّنْيَا واشتاق إِلَى لقائه، فقد فاز بأعظم لذّة يمكن لبشر الوصول إليها في هذه الدار.

كان أبو الدرداء يقول: أَحَبّ الموت اشتياقًا إِلَى ربي عز وجل.

قال أبو عتبة الخولاني: كان إخوانكم، لقاء الله أَحَبّ إليهم من الشهادة.

كان بعضهم يقول: إذا ذكرت القدوم عَلَى الله كنت أشدّ اشتياقًا إِلَى الموت من الظمآن الشديد ظمؤه، في اليوم الحار الشديد حره إِلَى الماء

www.alukah.net

البارد الشديد.

كانت رابعة تقول: قد طالت عليَّ الأيام والليالي بالشوق إِلَى لقاء الله عز وجل.

وبقي فتح بن شخرف ثلاثين سنة لم يرفع رأسه إِلَى السماء، وقال: طال شوقي إليك فعجل قدومي عليك.

وقال بعضهم: اخدموه شوقًا إِلَى لقائه، فإن له يومًا يتجلى فيه لأوليائه... "انتهى من" رسائل ابن رجب (١/ ١٨١).

الرضا بالقضاء والقدر

الحديث الخامس عشر

عَنْ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "الْإِيمَانُ بِالله، وَتَصْدِيقٌ بِهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ".

قَالَ: أُرِيدُ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: "السَّمَاحَةُ وَالصَّبْرُ".

قَالَ: أُرِيدُ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: "لَا تَتَّهِمِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي شَيْءٍ قَضَى لَكَ بِهِ".

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٢١٠٨)، وصححه الألباني.

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله –:

"فأكثر الخلق، بل كلهم إلا مَن شاء الله يظنون بالله غيرَ الحقِّ ظنَّ

www.alukah.net

السَّوْءِ، فإن غالبَ بنى آدم يعتقد أنه مبخوسُ الحق، ناقصُ الحظ وأنه يستحق فوقَ ما أعطاهُ الله، ولِسان حاله يقول: ظلمنى ربِّى، ومنعنى ما أستحقُه، ونفسُه تشهدُ عليه بذلك، وهو بلسانه يُنكره ولا يتجاسرُ على التصريح به، ومَن فتَّش نفسَه، وتغلغل فى معرفة دفائِنها وطواياها، رأى ذلك فيها كامِناً كُمونَ النار فى الزِّناد، فاقدح زنادَ مَن شئت يُنبئك شَرَارُه عما فى زِناده، ولو فتَّشت مَن فتشته، لرأيت عنده تعتُّباً على القدر وملامة له، واقتراحاً عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغى أن يكون كذا وكذا، فمستقِلٌ ومستكثِر، وفَتِّشْ نفسَك هل أنت سالم مِن ذلك؟"

(زاد المعاد).

وقال – رحمه الله –:

"الرضا يُثمِّر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور، وطيب النفس وسكونها في كل حال، وطمأنينة القلب عند كل مفزع مهلع من أمور الدنيا، وبرد القناعة واغتباط العبد بقسمه من ربِّه، وفرحه بقيام مولاه عليه واستسلامه لمولاه في كل شيء ورضاه منه بما يجريه عليه

وتسليمه له الأحكام والقضايا، واعتقاد حسن تدبيره وكمال حكمته، ويذهب عنه شكوى ربِّه إلى غيره وتبرمه بأقضيته..

فمزيد المحب الراضي: متصل بدوام هذه الحال له، فهو في مزيد ولو فترت جوارحه، بل قد يكون مزيده في حال سكونه وفتوره أكثر من مزيد كثير من أهل النوافل، بما لا نسبة بينهما، ويبلغ ذلك بصاحبه إلى أن يكون مزيده في حال نومه أكثر من مزيد كثير من أهل القيام، وأكله أكثر من مزيد كثير من أهل الصيام والجوع.

فإن أنكرت هذا فتأمل مزيد نائم بالله وقيام غافل عن الله، فالله سبحانه إنما ينظر إلى القلوب والهمم والعزائم لا إلى صور الأعمال، وقيمة العبد: همته وإرادته، فمن لا يرضيه غير الله - ولو أعطي الدنيا بحذافيرها - له شأن، ومن يرضيه أدنى حظ من حظوظها له شأن، وإن كانت أعمالهما في الصورة واحدة، وقد تكون أعمال الملتفت إلى الحظوظ أكثر وأشق، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم...

[مدارج السالكين (٢،٢٢٠)].

www.alukah.net

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: تستوي النعمة والبلية عنده في الرضا بهما لوجوهٍ:

أحدها: أنه مفوض، والمفوض راضٍ بكل ما اختاره له من فوض إليه، ولا سيَّما إذا علم كمال حكمته ورحمته ولطفه، وحسن اختياره له.

الثاني: أنه جازم بأنه لا تبديل لكلمات الله، ولا رادَّ لحكمه، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فهو يعلم أنَّ كلًّا من البلية والنعمة بقضاءٍ سابقٍ وقَدَرٍ حتم.

الثالث: أنه عبد محض، والعبد المحض لا يتسخَّط جريان أحكام سيده المشفق البار الناصح المحسن؛ بل يتلقَّاها كلها بالرضا به وعنه.

الرابع: أنه محبٌّ، والمحب الصادق مَن رضي بما يعامله به حبيبه.

الخامس: أنه جاهل بعواقب الأمور، وسيده أعلم بمصلحته، وما ينفعه.

السادس: أن يعلم أن رضاه عن ربِّه في جميع الحالات يثمر له رضا ربِّه عنه، فإذا رضي عنه بالقليل من الرزق؛ رضي ربُّه عنه بالقليل من

العمل، وإذا رضي عنه في جميع الحالات، واستوت عنده وجده أسرعَ شيءٍ إلى رِضاه إذا ترضَّاه وتملَّقه.

السابع: أن يعلم أن أعظم راحته وسروره، ونعيمه في الرضا عن ربِّه في جميع الحالات، فإن الرضا باب الله الأعظم، ومستراح العارفين، وجنة الدنيا، فجديرٌ بمن نصح نفسه أن تشتدَّ رغبتُه فيه، ولا يستبدل بغيره منه.

الثامن: أن السخط باب الهم والحزن، وشتات القلب، والرضا يفرغ قلبه، ويُقلِّل همَّه وغمَّه، فيتفرغ لعبادة ربِّه بقلبٍ خفيفٍ من أثقال الدنيا وهمومها وغمومها.

التاسع: الرضا يوجب له الطمأنينة، وبرد القلب، وسكونه وقراره، والسخط يوجب اضطراب قلبه وريبه وانزعاجه، وعدم قراره.

العاشر: أن الرضا يُنزل عليه السكينة التي لا أنفع له منها، ومتى نزلت السكينة استقام، وصلحت أحواله، وصلح باله، والسخط يُبعده منها بحسب قلته وكثرته، وإذا ترحَّلت عنه السكينة ترحَّل عنه السرور والأمن والدعة والراحة، وطيب العيش.

www.alukah.net

الحادي عشر: أن الرضا يفتح له باب السلامة، فيجعل قلبه سليمًا نقيًّا من الغش والدغل، والغل، وكلما كان أشدَّ رضا كان قلبه أسلم، فالخبث والدغل والغش قرين السخط، وسلامة القلب وبره ونصحه قرين الرضا، وكذلك الحسد هو من ثمرات السخط، وسلامة القلب منه من ثمرات الرضا.

الثالث عشر: أن من ملأ قلبه من الرضا بالقدر، ملأ الله صدره غنى وأمنًا وقناعةً، وفرغ قلبه لمحبته، والإنابة إليه، والتوكُّل عليه، ومن فاته حظُّه من الرضا، امتلأ قلبه بضد ذلك، واشتغل عمَّا فيه سعادته وفلاحه.

الثاني عشر: الرضا بالمقدور من سعادة ابن آدم، وسخطه من شقاوته، قال الرسول ﷺ: (مِن سعادةِ ابْنِ آدم استخارةُ الله عز وجل، ومن سعادةِ ابن آدم رِضاه بما قضى الله، ومن شقوة ابن آدم سخطُه بما قضى الله، ومن شقاوة ابن آدم تركُ استخارةِ الله)، فالرضا بالقضاء من أسباب السعادة، والتسخُّط على القضاء من أسباب الشقاوة.

الرابع عشر: أن الرضا يثمر الشكر، الذي هو من أعلى مقامات

الإيمان؛ بل هو حقيقة الإيمان، والسخط يثمر ضده وهو كفر النعم، فإذا رضي عن ربِّه في جميع الحالات أوجب له ذلك شكره، فيكون من الراضين الشاكرين، وإذا فاته الرضا كان من الساخطين، وسلك سبيل الكافرين.

الحقيقة، ولا حياة للعبد أطيب ولا أنعم ولا أهنأ منها. وهي الحياة الطيبة المذكورة في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. ليس المراد منها الحياة المشتركة بين المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، من طيب المأكل والملبس والمشرب والمنكح؛ بل ربما زاد أعداء الله على أوليائه في ذلك أضعافا مضاعفة.

وقد ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحا أن يحييه حياة طيبة، فهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده. وأي حياة أطيب من حياة من اجتمعت همومه كلها، وصارت هما واحدا في مرضاة الله، ولم شعث قلبه بالإقبال على الله، واجتمعت إراداته وأفكاره التي كانت منقسمة -بكل واد منها شعبة- على الله. فصار ذكر محبوبه الأعلى، وحبه،

www.alukah.net

والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه = هو المستولي عليه. وعليه تدور همومه وإراداته وقصوده، بل خطرات قلبه. فإن سكت سكت بالله، وإن نطق نطق بالله. وإن سمع فبه يسمع، وإن أبصر فبه يبصر. وبه يبطش، وبه يمشي، وبه يتحرك، وبه يسكن. وبه يحيا، وبه يموت، وبه يبعث كما في صحيح البخاري عنه - ﷺ - فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال:

"ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي.

ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه".

فتضمن هذا الحديث الشريف الإلهي -الذي حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به- حصر أسباب محبته في أمرين: أداء

فرائضه، والتقرب إليه بالنوافل.

وأخبر سبحانه أن أداء فرائضه أحب ما تقرب به إليه المتقربون، ثم بعدها النوافل؛ وأن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله. فإذا صار محبوبا لله أوجبت محبة الله له محبة أخرى منه لله، فوق المحبة الأولى، فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه، وملكت عليه روحه، ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة. فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الأعلى مالكا لزمام قلبه، مستوليا على روحه، استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته التي قد اجتمعت قوى حبه كلها له"، انتهى من"الداء والدواء": (٤٢٧ - ٤٣٨) بتصرف يسير، ويرجى مراجعته، فإنه نفيس جدًا في شرح معنى الشوق، وأسبابه.

وانظر: "مدارج السالكين"(١/ ٤٢٩).

قال ابن رجب رحمه الله:

"وأما الشوق إِلَى لقاء الله في الدُّنْيَا فهو أعظم لذّة تحصل للعارفين في الدُّنْيَا، فمن أنس بالله في الدُّنْيَا واشتاق إِلَى لقائه، فقد فاز بأعظم لذّة

www.alukah.net

يمكن لبشر الوصول إليها في هذه الدار.

كان أبو الدرداء يقول: أَحَبّ الموت اشتياقًا إِلَى ربي عز وجل.

قال أبو عتبة الخولاني: كان إخوانكم، لقاء الله أَحَبّ إليهم من الشهادة.

كان بعضهم يقول: إذا ذكرت القدوم عَلَى الله كنت أشدّ اشتياقًا إِلَى الموت من الظمآن الشديد ظمؤه، في اليوم الحار الشديد حره إِلَى الماء البارد الشديد.

كانت رابعة تقول: قد طالت عليَّ الأيام والليالي بالشوق إِلَى لقاء الله عز وجل.

وبقي فتح بن شخرف ثلاثين سنة لم يرفع رأسه إِلَى السماء، وقال: طال شوقي إليك فعجل قدومي عليك.

وقال بعضهم: اخدموه شوقًا إِلَى لقائه، فإن له يومًا يتجلى فيه لأوليائه...". انتهى من"رسائل ابن رجب (١/ ١٨١).

الخامس عشر: الرضا ينفي عنه آفات الحرص على الدنيا، وذلك رأس كل خطيئة، وأصلُ كل بليَّة، وأساسُ كلِّ رزيَّة، فرضاه عن ربِّه

في جميع الحالات ينفي عنه هذه الآفات.

السادس عشر: أن الشيطان إنما يظفر بالإنسان غالبًا عند السخط والشهوة، فهناك يصطاده، ولا سيما إذا استحكم سخطه، فإنه يقول ما لا يرضي الربَّ، ويفعل ما لا يُرضيه، وينوي ما لا يرضيه.

السابع عشر: أن كلَّ قدرٍ يكرهه العبد ولا يلائمه لا يخلو أن يكون عقوبة على ذنب فهو دواء لمرضٍ، لولا تدارك الحكيم إياه بالدواء لترامى بالمريض إلى الهلاك، أو يكون سببًا لنعمةٍ لا تُنال إلا بذاك المكروه، فالمكروه ينقطع، وما ترتب عليه من النعمة دائمٌ لا ينقطع، فإذا شهد العبد هذين الأمرين انفتح له باب الرضا عن ربِّه في كل ما يقضيه ويقدره.

الثامن عشر: أن يعلم أن منع الله سبحانه لعبده المؤمن به المحب له عطاء، وابتلاءه إياه عافية؛ فإنه سبحانه لا يقضي لعبده المؤمن قضاءً إلا كان خيرًا له، ساءه ذلك القضاء أو سرَّه، فقضاؤه لعبده المؤمن عطاء، وإن كان في صورة المنع، ونعمة وإن كان في صورة محنة، وعافية وإن كان في صورة بليةٍ؛ ولكن لجهل العبد وظلمه لا يعدُّ

www.alukah.net

العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذَّ به في العاجل.

قال بعض العارفين: يا بن آدم، نعمة الله عليك فيما تكره أعظمُ من نعمته عليك فيما تحب، وقد قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، قال بعض العارفين: ارضَ عن الله في جميع ما يفعله بك، فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليُعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفة عين؛ فتسقط من عينه.

التاسع عشر: الرضا يفتح باب حسن الخلق مع الله، ومع الناس، والسخط يفتح باب سوء الخلق مع الله، ومع الناس، فحسن الخلق من الرضا، وسوء الخلق من السخط، وحسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وسوء الخلق يأكل الحسنات.

العشرون: أن الرضا يفرغ قلبه، ويُقلُّ همه وغمه، فيتفرغ لعبادة ربِّه بقلبٍ خفيفٍ من أثقال الدنيا وهمومها وغمومها.

الحادي والعشرون: الرضا يثمر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور، وطيب النفس وسكونها في كل حال، وطمأنينة القلب عند

كل مفزع مهلعٍ من أمور الدنيا، وبرد القناعة، واغتباط العبد بقسمة ربِّه، وفرحه بقيام مولاه عليه، واستسلامه لمولاه في كل شيءٍ، ورضاه منه بما يُجريه عليه.

وفي أثر إلهي: (ما لأوليائي والهم بالدنيا؟ إن الهمَّ يُذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم)، فالإيمان بالقدر والرضا به يُذهب عن العبد الهمَّ والغمَّ والحزن.

www.alukah.net

الفرح والسرور بالطاعة

الحديث السادس عشر

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "مَن سرَّتهُ حسنتُهُ وساءتْهُ سَيِّئتُهُ فذلِكم المؤمنُ".

أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، وصححه الألباني.

أي: ومِن علاماتِ الإيمانِ إذا أذنَبَ العبْدُ أنْ يَسوءَه ذلك الذَّنبُ، ويظلَّ نادِمًا يلومُ نفسَه على ارتِكابِه ذلك الذَّنبَ، وإذا فعَل قُرْبةً لله عزَّ وجلَّ يظَلُّ مَسرورًا بتوفِيقِ الله له، وشاكِرًا لله على تثبيتِه وتوفِيقِه وهدايَتِه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفزع إلى الصلاة

الحديث السابع عشر

عن حذيفة رَضِي الله عنه قال: "كان النَّبيُّ ﷺ إذا حزَبَه أمرٌ صلَّى".
أخرجه أبوداود (١٣١٩)، وصححه الألباني.

الصَّلاةُ صِلةٌ بين العبدِ وربِّه، وهي عبادةٌ جليلةٌ فيها تَصْفو الرُّوحُ مِن الكَدَرِ والمُنغِّصاتِ النَّفسيَّةِ، وفيها يَقِفُ العبدُ بينَ يدَيْ ربِّه ويَدْعوه لِتَفريجِ هُمومِه؛ فهو وحْدَه القادِرُ على إزالةِ الهمِّ والحزنِ وتسهيلِ الصِّعابِ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ حذيفةُ رَضِي الله عنه: "كان النَّبيُّ ﷺ إذا حزَبَه أمرٌ صلَّى"، أي: إذا أحزَنَه أمرٌ أو أصابه بالهمِّ لجَأ إلى الصَّلاةِ، سواءٌ كانتْ فرضًا أو نافلةً؛ لأنَّ في الصَّلاة راحةً وقُرَّةَ عينٍ له، وهذا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِصداقُ قولِه تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وهذا مِن تعليمِ النَّبيِّ ﷺ لأمَّتِه، فإنَّه يُعلِّمُنا حُسْنَ التَّوكُّلِ على الله واللُّجوءَ إليه في كلِّ الأمورِ.

في الحديثِ: الحثُّ على اللُّجوءِ إلى الصَّلاةِ عِندَ النَّوائبِ.

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله –:

"وَأَمَّا الصَّلَاةُ، فَشَأْنُهَا فِي تَفْرِيحِ الْقَلْبِ وَتَقْوِيتِهِ، وَشَرْحِهِ وَابْتِهَاجِهِ وَلَذَّتِهِ أَكْبَرُ شَأْنٍ وَفِيهَا مِنَ اتِّصَالِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ بِالله، وَقُرْبِهِ وَالتَّنَعُّمِ بِذِكْرِهِ، وَالِابْتِهَاجِ بِمُنَاجَاتِهِ، وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتِعْمَالِ جَمِيعِ الْبَدَنِ وَقُوَاهُ وَآلَاتِهِ فِي عُبُودِيَّتِهِ، وَإِعْطَاءِ كُلِّ عُضْوٍ حَظَّهُ مِنْهَا، وَاشْتِغَالِهِ عَنِ التَّعَلُّقِ بِالْخَلْقِ وَمُلَابَسَتِهِمْ وَمُحَاوَرَاتِهِمْ، وَانْجِذَابِ قُوَى قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ إِلَى رَبِّهِ وَفَاطِرِهِ، وَرَاحَتِهِ مِنْ عَدُوِّهِ حَالَةَ الصَّلَاةِ مَا صَارَتْ بِهِ مِنْ أَكْبَرِ الْأَدْوِيَةِ وَالْمُفَرِّحَاتِ وَالْأَغْذِيَةِ الَّتِي لَا تُلَائِمُ إِلَّا الْقُلُوبَ الصَّحِيحَةَ.

وَأَمَّا الْقُلُوبُ الْعَلِيلَةُ، فَهِيَ كَالْأَبْدَانِ لَا تُنَاسِبُهَا إِلَّا الْأَغْذِيَةُ الْفَاضِلَةُ.

فَالصَّلَاةُ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى تَحْصِيلِ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،

وَدَفْعِ مَفَاسِدِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهِيَ مَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَدَافِعَةٌ لِأَدْوَاءِ الْقُلُوبِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ، وَمُنَوِّرَةٌ لِلْقَلْبِ، وَمُبَيِّضَةٌ لِلْوَجْهِ، وَمُنَشِّطَةٌ لِلْجَوَارِحِ وَالنَّفْسِ، وجالية لِلرِّزْقِ، وَدَافِعَةٌ لِلظُّلْمِ، وَنَاصِرَةٌ لِلْمَظْلُومِ، وَقَامِعَةٌ لِأَخْلَاطِ الشَّهَوَاتِ، وَحَافِظَةٌ لِلنِّعْمَةِ، وَدَافِعَةٌ لِلنِّقْمَةِ، وَمُنْزِلَةٌ لِلرَّحْمَةِ، وَكَاشِفَةٌ لِلْغُمَّةِ، وَنَافِعَةٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَوْجَاعِ الْبَطْنِ. وَقَدْ رَوَى ابْنُ مَاجَهْ فِي "سُنَنِهِ" مِنْ حَدِيثِ مجاهد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: رَآنِي رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا نَائِمٌ أَشْكُو مِنْ وَجَعِ بَطْنِي، فَقَالَ لِي: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشِكَمَتْ دَرْدْ؟" قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: "قُمْ فَصَلِّ، فَإِنَّ فِي الصَّلَاةِ شِفَاءً". وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مَوْقُوفًا عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ لمجاهد، وَهُوَ أَشْبَهُ. وَمَعْنَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ بِالْفَارِسِيِّ: أَيُوجِعُكَ بَطْنُكَ؟.

فَإِنْ لَمْ يَنْشَرِحْ صَدْرُ زِنْدِيقِ الْأَطِبَّاءِ بِهَذَا الْعِلَاجِ، فَيُخَاطَبَ بِصِنَاعَةِ الطِّبِّ، وَيُقَالَ لَهُ: الصَّلَاةُ رِيَاضَةُ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا، إذا كَانَتْ تَشْتَمِلُ عَلَى حَرَكَاتٍ وَأَوْضَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الِانْتِصَابِ، وَالرُّكُوعِ، وَالسُّجُودِ، وَالتَّوَرُّكِ، وَالِانْتِقَالَاتِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَوْضَاعِ الَّتِي

www.alukah.net

يَتَحَرَّكُ مَعَهَا أَكْثَرُ الْمَفَاصِلِ، وَيَنْغَمِزُ مَعَهَا أَكْثَرُ الْأَعْضَاءِ الْبَاطِنَةِ، كَالْمِعِدَةِ، وَالْأَمْعَاءِ، وَسَائِرِ آلَاتِ النَّفْسِ، وَالْغِذَاءِ، فَمَا يُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ فِي هَذِهِ الْحَرَكَاتِ تَقْوِيَةٌ وَتَحْلِيلٌ لِلْمَوَادِّ، وَلَا سِيَّمَا بِوَاسِطَةِ قُوَّةِ النَّفْسِ وَانْشِرَاحِهَا فِي الصَّلَاةِ، فَتَقْوَى الطَّبِيعَةُ، فَيَنْدَفِعُ الْأَلَمُ، وَلَكِنْ دَاءُ الزَّنْدَقَةِ وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَالتَّعَوُّضِ عَنْهُ بِالْإِلْحَادِ دَاءٌ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ إِلَّا نَارٌ تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى".

(زاد المعاد).

الفزع إلى الدعاء

الحديث الثامن عشر

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كُنْتُ أَخْدُمُ رَسولَ الله ﷺ إذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يقولُ: اللهمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجَالِ".
أخرجه الإمام البخاري (٢٨٩٣).

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله تعالى – عند قوله تعالى:
﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة ١٠]
وفى الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه:
"اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن

www.alukah.net

والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال".

فاستعاذ ﷺ من ثمانية أشياء كل شيئين منها قرينان:

فالهم والحزن قرينان، وهما الألم الوارد على القلب، فإن كان على ما مضى فهو الحزن، وإن كان على ما يستقبل فهو الهم. فالألم الوارد إن كان مصدره فوت الماضي أثر الحزن، وإن كان مصدره خوف الآتي أثر الهم.

والعجز والكسل قرينان، فإن تخلف مصلحة العبد وبعدها عنه إن كان من عدم القدرة فهو عجز، وإن كان من عدم الإرادة فهو كسل.

والجبن والبخل قرينان، فإن الإحسان يفرح القلب ويشرح الصدر ويجلب النعم ويدفع النقم، وتركه يوجب الضيم والضيق ويمنع وصول النعم إليه، فالجبن ترك الإحسان بالبدن، والبخل ترك الإحسان بالمال.

وضلع الدين وغلبة الرجال قرينان، فإن القهر والغلبة الحاصلة للعبد إما منه وإما من غيره.

وإن شئت قلت: إما بحق وإما بباطل من غيره.

والمقصود أن النبي ﷺ جعل الحزن مما يستعاذ منه.

وذلك لأن الحزن يضعف القلب ويوهن العزم، ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّما النَّجْوى مِنَ الشَّيْطانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المجادلة: ١٠]

فالحزن مرض من أمراض القلب يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره، والثواب عليه ثواب المصائب التي يبتلى العبد بها بغير اختياره، كالمرض والألم ونحوهما.

وأما أن يكون عبادة مأْمورًا بتحصيلها وطلبها فلا، ففرق بين ما يثاب عليه العبد من المأمورات، وما يثاب عليه من البليات. ولكن يحمد في الحزن سببه ومصدره ولازمه لا ذاته، فإن المؤمن إما أن يحزن على تفريطه وتقصيره في خدمة ربه وعبوديته.

وإما أن يحزن على تورّطه في مخالفته ومعصيه وضياع أيامه وأوقاته.

وهذا يدل على صحة الإيمان في قلبه وعلى حياته، حيث شغل قلبه بمثل هذا الألم فحزن عليه، ولو كان قلبه ميتًا لم يحس بذلك ولم يحزن ولم يتألم، فما لجرح بميت إيلام، وكلما كان قلبه أشد حياة كان شعوره

www.alukah.net

بهذا الألم أقوى، ولكن الحزن لا يجدى عليه،
فإنه يضعفه كما تقدم.

بل الذي ينفعه أن يستقبل السير ويجد ويشمر، ويبذل جهده، وهذا نظير من انقطع عن رفقته في السفر، فجلس في الطريق حزينًا كئيبًا يشهد انقطاعه ويحدث نفسه باللحاق بالقوم.

فكلما فتر وحزن حدث نفسه باللحاق برفقته، ووعدها إن صبرت أن تلحق بهم، ويزول عنها وحشة الانقطاع. فهكذا السالك إلى منازل الأبرار، وديار المقربين وأخص من هذا الحزن حزنه على قطع الوقت بالتفرقة المضعفة للقلب عن تمام سيره وجده في سلوكه، فإن التفرقة من أعظم البلاء على السالك، ولا سيما في ابتداء أمره، فالأول حزن على التفريط في الأعمال، وهذا حزن على نقص حاله مع الله وتفرقة قلبه وكيف صار ظرفًا لتفرقة حاله، واشتغال قلبه بغير معبوده.

وأخص من هذا الحزن حزنه على جزءٍ من أجزاءِ قلبه كيف هو خال من محبة الله؟ وعلى جزءٍ من أجزاءِ بدنه كيف هو منصرف في غير محاب الله؟ فهذا حزن الخاصة، ويدخل في هذا حزنهم على كل

معارض يشغلهم عما هم بصدده من خاطر أو إرادة أو شاغل من خارج.

فهذه المراتب من الحزن لا بد منها في الطريق ولكن الكيس من لا يدعها تملكه وتقعده، بل يجعل عوض فكرته فيها فكرته فيما يدفعها به، فإن المكروه إذا ورد على النفس، فإن كانت صغيرة اشتغلت بفكرها فيه وفي حصوله عن الفكرة في الأسباب التي يدفعها به فأورثها الحزن، وإن كانت نفسًا كبيرة شريفة لم تفكر فيه، بل تصرف فكرها إلى ما ينفعها فإن علمت منه مخرجًا فكرت في طريق ذلك المخرج وأسبابه وإن علمت أنه لا مخرج منه، فكرت في عبودية الله فيه. وكان ذلك عوضًا لها من الحزن، فعلى كل حال لا فائدة لها في الحزن أصلًا والله أعلم.

(التفسير القيم).

وقال العلامة ابن القيم – رحمه الله –:

"وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي أمامة: اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، فَقَدْ تَضَمَّنَ الِاسْتِعَاذَةَ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ، كُلُّ اثْنَيْنِ مِنْهَا قَرِينَانِ مُزْدَوَجَانِ،

www.alukah.net

فَالْهَمُّ وَالْحَزَنُ أَخَوَانِ، وَالْعَجْزُ وَالْكَسَلُ أَخَوَانِ، وَالْجُبْنُ وَالْبُخْلُ أَخَوَانِ، وَضَلَعُ الدَّيْنِ وَغَلَبَةُ الرِّجَالِ أَخَوَانِ، فَإِنَّ الْمَكْرُوهَ الْمُؤْلِمَ إِذَا وَرَدَ عَلَى الْقَلْبِ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ أَمْرًا مَاضِيًا، فَيُوجِبُ لَهُ الْحُزْنَ، وَإِنْ كَانَ أَمْرًا مُتَوَقَّعًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ، أَوْجَبَ الْهَمَّ، وَتَخَلُّفُ الْعَبْدِ عَنْ مَصَالِحِهِ وَتَفْوِيتُهَا عَلَيْهِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ عَدَمِ الْقُدْرَةِ وَهُوَ الْعَجْزُ، أَوْ مِنْ عَدَمِ الْإِرَادَةِ وَهُوَ الْكَسَلُ، وَحَبْسُ خَيْرِهِ وَنَفْعِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ بَنِي جِنْسِهِ، إما

أَنْ يَكُونَ مَنَعَ نَفْعَهُ بِبَدَنِهِ، فَهُوَ الْجُبْنُ، أَوْ بِمَالِهِ، فَهُوَ الْبُخْلُ، وَقَهْرُ النَّاسِ لَهُ إِمَّا بِحَقٍّ، فَهُوَ ضَلَعُ الدَّيْنِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَهُوَ غَلَبَةُ الرِّجَالِ، فَقَدْ تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ الِاسْتِعَاذَةَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ، وَأَمَّا تَأْثِيرُ الِاسْتِغْفَارِ فِي دَفْعِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالضِّيقِ، فَلِمَا اشْتَرَكَ فِي الْعِلْمِ بِهِ أَهْلُ الْمِلَلِ وَعُقَلَاءُ كُلِّ أُمَّةٍ أَنَّ الْمَعَاصِيَ وَالْفَسَادَ تُوجِبُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ، وَالْخَوْفَ وَالْحُزْنَ، وَضِيقَ الصَّدْرِ، وَأَمْرَاضَ الْقَلْبِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَهَا إِذَا قَضَوْا مِنْهَا أَوْطَارَهُمْ، وَسَئِمَتْهَا نُفُوسُهُمْ، ارْتَكَبُوهَا دَفْعًا لِمَا يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الضِّيقِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ، كَمَا قَالَ شَيْخُ الْفُسُوقِ:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

وَإِذَا كَانَ هَذَا تَأْثِيرَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ فِي الْقُلُوبِ، فَلَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ".

(زاد المعاد).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أعظم حديث ودعاء
في ذهاب الهم والحزن

الحديث التاسع عشر

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "ما أصاب أحدًا قط همٌّ و لا حزنٌ، فقال: اللهمَّ إني عبدُك، و ابنُ عبدِك، و ابنُ أَمَتِك، ناصيتي بيدِك، ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤُك، أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك، أو علَّمتَه أحدًا من خلقِك، أو أنزلتَه في كتابِك، أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَك، أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي، و نورَ صدري، و جلاءَ حزني، و ذَهابَ همِّي، إلا أذهبَ الله همَّهُ و حزنَه، و أبدلَه مكانَه فرجًا.

قال: فقيل: يا رسولَ الله ألا نتعلَّمُها؟ فقال بلى، ينبغي لمن سمعَها أن يتعلَّمَها".

أخرجه الإمام أحمد (٣٧١٢) واللفظ له، وابن حبان (٩٧٢)، والطبراني (١٠/ ٢١٠) (١٠٣٥٢)، والحاكم (١/ ١٥٩)، وصححه الألباني.

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى –:

"وَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ: "اللهمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ"، فَفِيهِ مِنَ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ، وَأَسْرَارِ الْعُبُودِيَّةِ مَا لَا يَتَّسِعُ لَهُ كِتَابٌ، فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ الِاعْتِرَافَ بِعُبُودِيَّتِهِ وَعُبُودِيَّةِ آبَائِهِ وَأُمَّهَاتِهِ، وَأَنَّ نَاصِيَتَهُ بِيَدِهِ يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، فَلَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ دُونَهُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً، وَلَا نُشُورًا، لِأَنَّ مَنْ نَاصِيَتُهُ بِيَدِ غَيْرِهِ، فَلَيْسَ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ، بَلْ هُوَ عَانٍ فِي قَبْضَتِهِ، ذَلِيلٌ تَحْتَ سُلْطَانِ قَهْرِهِ.

وَقَوْلُهُ: "مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ" مُتَضَمِّنٌ لِأَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ عَلَيْهِمَا مَدَارُ التَّوْحِيدِ.

www.alukah.net

أَحَدُهُمَا: إِثْبَاتُ الْقَدَرِ، وَأَنَّ أَحْكَامَ الرَّبِّ تَعَالَى نَافِذَةٌ فِي عَبْدِهِ مَاضِيَةٌ فِيهِ، لَا انْفِكَاكَ لَهُ عَنْهَا، وَلَا حِيلَةَ لَهُ فِي دَفْعِهَا.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ- سُبْحَانَهُ- عَدْلٌ فِي هَذِهِ الْأَحْكَامِ، غَيْرُ ظَالِمٍ لِعَبْدِهِ، بَلْ لَا يَخْرُجُ فِيهَا عَنْ مُوجَبِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، فَإِنَّ الظُّلْمَ سَبَبُهُ حَاجَةُ الظَّالِمِ، أَوْ جَهْلُهُ أَوْ سَفَهُهُ، فَيَسْتَحِيلُ صُدُورُهُ مِمَّنْ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَمَنْ هُوَ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ، وَمَنْ هُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، فَلَا تَخْرُجُ ذَرَّةٌ مِنْ مَقْدُورَاتِهِ عَنْ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ، كَمَا لَمْ تَخْرُجْ عَنْ قُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَحِكْمَتُهُ نَافِذَةٌ حَيْثُ نَفَذَتْ مَشِيئَتُهُ وَقُدْرَتُهُ، وَلِهَذَا قَالَ نَبِيُّ اللهِ هُودٌ صَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ خَوَّفَهُ قَوْمُهُ بِآلِهَتِهِمْ: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]، أَيْ: مَعَ كَوْنِهِ سُبْحَانَهُ آخِذًا بِنَوَاصِي خَلْقِهِ وَتَصْرِيفِهِمْ كَمَا يَشَاءُ، فَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لَا يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ، وَالْإِحْسَانِ وَالرَّحْمَةِ. فَقَوْلُهُ: مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ:

مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها، وَقَوْلُهُ: عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ: إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ، ثُمَّ تَوَسَّلَ إِلَى رَبِّهِ بِأَسْمَائِهِ الَّتِي سَمَّى بِهَا نَفْسَهُ مَا عَلِمَ الْعِبَادُ مِنْهَا وَمَا لَمْ يَعْلَمُوا. وَمِنْهَا: مَا اسْتَأْثَرَهُ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ مَلَكًا مُقَرَّبًا، وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا، وَهَذِهِ الْوَسِيلَةُ أَعْظَمُ الْوَسَائِلِ، وَأَحَبُّهَا إِلَى الله، وَأَقْرَبُهَا تَحْصِيلًا لِلْمَطْلُوبِ. ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ لِقَلْبِهِ كَالرَّبِيعِ الَّذِي يَرْتَعُ فِيهِ الْحَيَوَانُ، وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ شِفَاءَ هَمِّهِ وَغَمِّهِ، فَيَكُونَ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الدَّوَاءِ الَّذِي يَسْتَأْصِلُ الدَّاءَ، وَيُعِيدُ الْبَدَنَ إِلَى صِحَّتِهِ وَاعْتِدَالِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ لِحُزْنِهِ كَالْجَلَاءِ الذي يحلو الطُّبُوعَ وَالْأَصْدِيَةَ وَغَيْرَهَا فَأَحْرَى بِهَذَا الْعِلَاجِ إِذَا صَدَقَ الْعَلِيلُ فِي اسْتِعْمَالِهِ أَنْ يُزِيلَ عَنْهُ دَاءَهُ، وَيُعْقِبَهُ شِفَاءً تَامًّا، وَصِحَّةً وَعَافِيَةً، وَالله الْمُوَفِّقُ". (زاد المعاد).

ويفرِّق الإمام ابن القيم – رحمه الله – بين الهمِّ والحزن والغَمِّ، فيقول: "المكروه الوارد على القلب، إن كانَ مِن أمرٍ ماضٍ أحدَثَ الحزَنَ، وإن كانَ مِن مستقبلٍ أحدَثَ الهمَّ، وإن كانَ مِن أمرٍ حاضرٍ أحدَثَ الغَمَّ". (فوائد الفوائد؛ ابن القيم، ص ٦٠).

www.alukah.net

قال الإمامُ ابن القيم – رحِمه الله –: "ولَمَّا كانَ الحزنُ والهمُّ يُضاد حياةَ القلب واستنارته، سألَ أن يكونَ ذَهابُها بالقرآن؛ فإنها أحرَى ألا تعودَ، وأما إذا ذهَبت بغير القرآن؛ مِنْ صِحةٍ، أو دنيا، أو جاهٍ، أو زوجةٍ، أو ولدٍ، فإنها تعودُ بذَهابِ ذلك".

(الفوائد؛ ابن القيم، ص ٦٠).

قال ابن القيم – رحمه الله –: "فقد دل هذا الحديث الصحيح على أشياء، منها: أنه استوعب أقسام المكروه الواردة على القلب:

(فالهم) يكون على مكروه يتوقع في المستقبل يهتم به القلب.

(والحزن) على مكروه ماض من فوات محبوب أو حصول مكروه إذا تذكره أحدث له حزناً.

(والغم) يكون على مكروه حاصل في الحال يوجب لصاحبه الغم.

فهذه المكروهات هي من أعظم أمراض القلب وأدوائه، وقد تنوع الناس في طرق أدويتها والخلاص منها، وتباينت طرقهم في ذلك تبايناً لا يحصيه إلا الله.

بل كل أحد يسعى في التخلص منها بما يظن أو يتوهم أنه يخلصه

منها، وأكثر الطرق والأدوية التي يستعملها الناس في الخلاص منها لا يزيدها إلا شدة، كمن يتداوى منها بالمعاصي على اختلافها من أكبر كبائرها إلى أصغرها، وكمن يتداوى منها باللهو واللعب والغناء وسماع الأصوات المطربة وغير ذلك.

فأكثر سعي بني آدم أو كله إنما هو لدفع هذه الأمور والتخلص منها وكلهم قد أخطأ الطريق إلا من سعى في إزالتها بالدواء الذي (وصفه الله) لإزالتها وهو دواء مركب من مجموع أمور متى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره وأعظم أجزاء هذا الدواء هو (التوحيد)، (والاستغفار) قال - تعالى -: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلّا الله وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

ولذلك كان الدعاء المفرج للكرب (محض التوحيد) وهو"لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا هو رب العرش العظيم لا إله إلا هو رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم".

www.alukah.net

وفي الترمذي وغيره عن النبي - ﷺ -: "دعوة أخي ذي النون ما دعاها مكروب إلا فرج الله كربه لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين".

(فالتوحيد): يدخل العبد على الله، (والاستغفار والتوبة) يرفع المانع، ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه فإذا وصل القلب إليه زال عنه (همه)، (وغمه)، (وحزنه)، وإذا انقطع عنه حضرته (الهموم)، (والغموم)، (والأحزان) وأتته من كل طريق، ودخلت عليه من كل باب".

(شفاء العليل: ص/ ٢٧٤).

الإكثار من قراءة القرآن الكريم

الحديث العشرون

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: "قَرَأَ رَجُلٌ الكَهْفَ وفي الدَّارِ الدَّابَّةُ، فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ، فَسَلَّمَ، فَإِذَا ضَبَابَةٌ -أَوْ سَحَابَةٌ- غَشِيَتْهُ، فَذَكَرَهُ للنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: اقْرَأْ فُلَانُ؛ فإنَّهَا السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ. أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ".

أخرجه الإمام البخاري (٣٦١٤)، والإمام مسلم (٧٩٥).

وفي لفظ:

"كانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الكَهْفِ، وإلَى جانِبِهِ حِصانٌ مَرْبُوطٌ بشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو وتَدْنُو وجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ، فَلَمَّا أصْبَحَ أتَى النبيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذلكَ له فقالَ: تِلكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بالقُرْآنِ".

www.alukah.net

السكينة هي الطمأنينة التي يلقيها الله في قلوب عباده، فتبعث على السكون والوقار، وتثبت القلب عند المخاوف، فلا تزلزله الفتن، ولا تؤثر فيه المحن، بل يزداد إيمانا ويقينا.

وقد ذكرها الله عز وجل في ستة مواضع من كتابه الكريم، كلها تتضمن هذه المعاني من الجلال والوقار الذي يهبه الله تعالى موهبة لعباده المؤمنين، ولرسله المقربين.

يقول ابن القيم رحمه الله في شرح منزلة"السكينة"من منازل السالكين إلى الله:

"هذه المنزلة من منازل المواهب، لا من منازل المكاسب، وقد ذكر الله سبحانه السكينة في كتابه في ستة مواضع:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ البقرة/ ٢٤٨.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة/ ٢٦.

الثالث: قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا فَأَنْزَلَ

الله سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ التوبة/ ٤٠.

الرابع: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ الفتح/ ٤.

الخامس: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِىَ الله عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح/ ١٨.

السادس: قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الفتح/ ٢٦.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا اشتدت عليه الأمور: قرأ آيات السكينة. وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه تعجز العقول عن حملها، من محاربة أرواح شيطانية ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة، قال: فلما اشتد علي الأمر قلت لأقاربي ومن حولي: اقرأوا آيات السكينة، قال: ثم أقلع عني ذلك الحال، وجلست وما بي قَلَبَة.

www.alukah.net

وقد جربت أنا أيضا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يرد عليه، فرأيت لها تأثيرا عظيما في سكونه وطمأنينته.

وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين، والثبات، ولهذا أخبر سبحانه عن إنزالها على رسوله وعلى المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب كيوم الهجرة، إذ هو وصاحبه في الغار، والعدو فوق رءوسهم، لو نظر أحدهم إلى ما تحت قدميه لرآهما، وكيوم حنين حين ولوا مدبرين من شدة بأس الكفار لا يلوي أحد منهم على أحد، وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكم الكفار عليهم، ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحملها النفوس، وحسبك بضعف عمر رضي الله عنه عن حملها، وهو عمر، حتى ثبته الله بالصدِّيق رضي الله عنه....".

انتهى باختصار.

"مدارج السالكين"(٢/ ٥٠٢-٥٠٤).

قال ابن القيم:

"الْقُرْآنُ؛ وَهُوَ ذِكْرُهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ، بِهِ طُمَأْنِينَةُ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ. فَإِنَّ الْقَلْبَ لَا يَطْمَئِنُّ إِلَّا بِالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ. وَلَا سَبِيلَ إِلَى حُصُولِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ إِلَّا مِنَ الْقُرْآنِ. فَإِنَّ سُكُونَ الْقَلْبِ وَطُمَأْنِينَتَهُ مِنْ يَقِينِهِ. وَاضْطِرَابَهُ وَقَلَقَهُ مِنْ شَكِّهِ. وَالْقُرْآنُ هُوَ الْمُحَصِّلُ لِلْيَقِينِ، الدَّافِعُ لِلشُّكُوكِ وَالظُّنُونِ وَالْأَوْهَامِ، فَلَا تَطْمَئِنُّ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِهِ".

www.alukah.net

لزوم التوبة والاستغفار

الحديث الحادي والعشرون

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قَال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ الله لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ"

رواه أبو داود (١٥١٨) وابن ماجه (٣٨١٩)، وأحمد في "المسند" (١/ ٢٤٨)، والطبراني في "المعجم الأوسط" (٦/ ٢٤٠)، والبيهقي في"السنن الكبرى" (٣/ ٣٥١).

من طريق الحكم بن مصعب، ثنا محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، أنه حدثه عن ابن عباس به.

وهذا السند ضعيف بسبب الحكم بن مصعب، لم يوثقه أحد، إنما قال فيه أبو حاتم: هو شيخ للوليد بن مسلم، لا أعلم روى عنه أحد غيره، وحكم عليه كل من الذهبي وابن حجر بالجهالة.

وضعفه الألباني في "السلسلة الضعيفة" (رقم/ ٧٠٥).

ورغم ضعف الحديث، فإن معناه مقبول له ما يشهد له من الأدلة الصحيحة، فقد قال الله تعالى في فضل الاستغفار: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ نوح/ ١٠-١٢.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً وَيُؤْتِ كُلّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلّوْا فَإِنّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هود/ ٣.

ولذلك ذكر العلامة ابن القيم في كتابه "الوابل الصيب" في الفصل الثامن عشر: الاستغفار، ضمن الأذكار الجالبة للرزق، الدافعة للضيق والأذى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهو على كل حال من تقوى الله عز وجل، التي هي سبب كل خير يصيب المتقين.

يقول الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ الطلاق/ ٢-٣.

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله –:

"وَأَمَّا تَأْثِيرُ الِاسْتِغْفَارِ فِي دَفْعِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالضِّيقِ، فَلِمَا اشْتَرَكَ فِي الْعِلْمِ بِهِ أَهْلُ الْمِلَلِ وَعُقَلَاءُ كُلِّ أُمَّةٍ أَنَّ الْمَعَاصِيَ وَالْفَسَادَ تُوجِبُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ، وَالْخَوْفَ وَالْحُزْنَ، وَضِيقَ الصَّدْرِ، وَأَمْرَاضَ الْقَلْبِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَهَا إِذَا قَضَوْا مِنْهَا أَوْطَارَهُمْ، وَسَئِمَتْهَا نُفُوسُهُمْ، ارْتَكَبُوهَا دَفْعًا لِمَا يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الضِّيقِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ، كَمَا قَالَ شَيْخُ الْفُسُوقِ:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ... وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

وَإِذَا كَانَ هَذَا تَأْثِيرَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ فِي الْقُلُوبِ، فَلَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ".

الصلاة على النبي ﷺ

الحديث الثاني والعشرون

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: " قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: مَا شِئْتَ. قَالَ قُلْتُ الرُّبُعَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قُلْتُ النِّصْفَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قَالَ قُلْتُ فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قُلْتُ أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ".

أخرجه الترمذي (٢٤٥٧) وأحمد (٢٠٧٣٦) وابن أبي شيبة في "المصنف" (٨٧٠٦) وعبد بن حميد في "المسند" (١٧٠) والبيهقي في "الشعب" (١٥٧٩)، وصححه الألباني.

www.alukah.net

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:

"هذا كان له دعاء يدعو به، فإذا جعل مكان دعائه الصلاة على النبي ﷺ كفاه الله ما أهمه من أمر دنياه وآخرته ؛ فإنه كلما صلى عليه مرة صلى الله عليه عشرا، وهو لو دعا لآحاد المؤمنين لقالت الملائكة: آمين ولك بمثله. فدعاؤه للنبي ﷺ أولى بذلك"انتهى.

"مجموع الفتاوى"(١/ ١٩٣)

وقال شيخ الإسلام أيضا:

"مقصود السائل: يا رسول الله إن لي دعاء أدعو به، وأستجلب به الخير، وأستدفع به الشر فكم أجعل لك من الدعاء؟ قال: ما شئت. فلما انتهى إلى قوله: (أجعل لك صلاتي كلها) قال: إذا تكفى همك ويغفر ذنبك.

وفي الرواية الأخرى: إذا يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك.

وهذا غاية ما يدعو به الإنسان لنفسه من جلب الخيرات ودفع المضرات"انتهى.

"مجموع الفتاوى"(١/ ٣٤٩-٣٥٠).

قال العلامة الملا علي القاري:

"(أجعل لك صلاتي كلها) أي أصرف بصلاتي عليك جميع الزمن الذي كنت أدعو فيه لنفسي. (تكفى همك) قال الأبهري: أي إذا صرفت جميع زمان دعائك في الصلاة عليّ كفيت ما يهمك.

وقال التوربشتي: معنى الحديث كم أجعل لك من دعائي الذي أدعو به لنفسي.

فقال: (إذن تكفى همك) أي ما أهمك من أمر دينك ودنياك ؛ وذلك لأن الصلاة عليه مشتملة على ذكر الله وتعظيم الرسول، والاشتغال بأداء حقه عن أداء مقاصد نفسه"

انتهى باختصار.

"مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (٤/ ١٦- ١٧)

وقال ابن علان البكري رحمه الله:

"ووجه كفاية المهمات بصرف ذلك الزمن إلى الصلاة عليه: أنها مشتملة على امتثال أمر الله تعالى، وعلى ذكره وتعظيمه، وتعظيم رسوله، ففي الحقيقة لم يفت بذلك الصرف شيء على المصلي، بل

www.alukah.net

حصل له بتعرضه بذلك الثناء الأعظم أفضل مما كان يدعو به لنفسه، وحصل له مع ذلك صلاة الله وملائكته عليه عشراً، مع ما انضم لذلك من الثواب الذي لا يوازيه ثواب، فأيّ فوائد أعظم من هذه الفوائد؟ ومتى يظفر المتعبد بمثلها، فضلا عن أنفَسَ منها؟ وأنى يوازي دعاؤه لنفسه واحدة من تلك الفضائل التي ليس لها مماثل؟" انتهى بتصرف.

"دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين"(٥/ ٦-٧)

وقال الشوكاني رحمه الله:

"قوله: (إذن تكفى همك ويغفر ذنبك) في هاتين الخصلتين جماع خير الدنيا والآخرة ؛ فإن من كفاه الله همه سلم من محن الدنيا وعوارضها ؛ لأن كل محنة لا بد لها من تأثير الهم وإن كانت يسيرة. ومن غفر الله ذنبه سلم من محن الآخرة ؛ لأنه لا يوبق العبد فيها إلا ذنوبه"انتهى.

"تحفة الذاكرين"(ص ٤٥).

قال الشيخ العلامة السعدي -رحمه الله-:

الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ فيها:

غفران الزلات، وتكفير السيئات وإجابة الدعوات وقضاء الحاجات، وتفريج المهمات والكربات وحلول الخيرات والبركات، ورضا رب الأرض والسماوات، وهي نور لصاحبها في قبره، منجية من الشرور والآفات.

الفواكه الشهية (ص ٤١).

الجهاد في سبيل وطاعته

الحديث الثالث والعشرون

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "عليكم بالجِهادِ في سبيلِ الله، فإنَّهُ بابٌ من أبوابِ الجنةِ، يُذهِبُ الله بِهِ الهَمَّ والغَمَّ".

أخرجه الإمام أحمد في (مسنده) (٢٢٧١٩)، الحاكم في (المستدرك) (٩٧٧)، الطبراني في (المعجم الأوسط) (٨٣٣٤)، وصححه الألباني.

الجِهادُ في سَبيلِ الله هو ذِروَةُ سَنامِ الإسلامِ، ومَصدَرُ عِزِّ المُسلِمينَ، وهو بابٌ عظيمٌ من أبوابِ الجَنَّةِ، وقد كَثُرتِ النُّصوصُ في الحثِّ والحضِّ عليه، كما في هذا الحديثِ الذي يَحُثُّ فيه النَّبيُّ ﷺ على الجِهادِ فيقولُ: "عليكم بالجِهادِ في سَبيلِ الله"، أي: الْزَموا الجِهادَ

لإعلاءِ كَلِمَةِ الله ونَشرِ الحَقِّ، ولا تَترُكوه، والجهادُ في سَبيلِ الله شاملٌ لجميعِ أنواعِ الجِهادِ سواءٌ كان بالسَّيفِ في المعارِكِ، أو بالعِلمِ والبيانِ وإزالةِ شُبهاتِ المُبطِلينَ، وغيرِ ذلك، ثُمَّ وضَّحَ لهم سَببَ ذلك بقولِه: "فإنَّه بابٌ من أبوابِ الجَنَّةِ"، أي: طَريقٌ مُوصِلٌ للجَنَّةِ لمن بَلَغَتْه الشَّهادةُ أوِ اشتَغَلَ به خالِصًا لوجهِ الله،"يُذهِبُ الله به الهَمَّ والغَمَّ"، أي: يُزيلُ الله به الحُزنَ والكَمَدَ عمَّن جاهَدَ في سبيلِه لإعلاءِ كَلمتِه وعن صُدورِ المُؤمِنينَ؛ لأنَّ إعلاءَ كَلِمَةِ الله تُزيلُ عن القَلْبِ هُمومَه وغُمومَه وأحزانَه؛ فالجهادُ مِن أدويةِ الغَمِّ والهمِّ، وإنَّ الشقيَّ حقًّا مَن ترَكَ الجِهادَ بأنواعِه كلِّها مع قُدرتِه عليها، ومالَ إلى الدُّنيا، فتُصيبه بآلامِها وأحزانِها ويَشقىَ بها.

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله –:

"وأمَّا تأثيرُ الجهادِ في دفعِ الهم والغم، فأمرٌ معلوم بالوجدان، فإنَّ النفس متى تركتْ صائِلَ الباطل وصَوْلته واستيلاءَه، اشتد همُّها وغمُّها، وكربُها وخوفها، فإذا جاهدته لله أبدل الله ذلك الهمَّ والحُزْنَ فرحاً ونشاطاً وقوةً، كما قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ الله بِأَيْدِيكُمْ

www.alukah.net

وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾. [التوبة: ١٤-١٥].

فلا شيءَ أذهبُ لجوَى

القلب وغَمِّه وهَمِّه وحُزنه من الجهاد.. والله المستعان ".

(زاد المعاد).

الصدقة

الحديث الرابع والعشرون

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ يقول: "دَاوُوا مَرضاكُمْ بِالصَّدقةِ".

أخرجه الطبراني، وحسنه الألباني.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (فإنَّ للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو من ظالم بل من كافر فإن الله تعالى يدفعُ بها عنهُ أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهلُ الأرض كلُّهم مقرُّون به لأنَّهم جرَّبوه).

(الوابل الصيب).

وقال رحمه الله تعالى: (... بل ها هنا من الأدوية التي تشْفي من الأمراض ما لمْ يهتد إليها عقولُ أكابر الأطباء، ولم تصل إليها عُلومُهم وتجاربهم وأقيستهم من الأدوية القلبية والروحانية وقوة القلب

www.alukah.net

واعتماده على الله تعالى والتوكل عليه والالتجاء إليه والانطراح والانكسار بين يديه والتذلّل له الصدقة والدعاء والتوبة والاستغفار والإحسان إلى الخلق وإغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب، فإن هذه الأدوية قد جرَّبْتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها، فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم أعلم الأطباء ولا تجربته ولا قياسه، وقد جرَّبنا نحن وغيرنا من هذا أمورًا كثيرةً ورأيناها تفعلُ ما لا تفعل الأدوية الحسية...).

(زاد المعاد لابن القيم).

وقال رحمه الله تعالى: (كان ﷺ أعظم الناس صدقةً بما ملكت يدهُ، وكان لا يستكثر شيئًا أعطاه لله تعالى ولا يستقلُّه، وكان لا يسألُه أحدٌ شيئًا عنده إلا أعطاه قليلاً كان أو كثيرًا، وكان عطاؤه عطاء مَنْ لا يخافُ الفقر، وكان العطاءُ والصدقةُ أحبَّ شيء إليه وكان سرورُه وفرحُه بما يعطيه أعظمَ من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير يمينه كالرِّيح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه تارةً بطعامه وتارةً بلباسه، وكان ينوِّع في أصناف عطائه وصدقته فتارةً بالهبة وتارةً بالصدقة وتارة بالهدية وتارة بشراء الشيء ثم يعطي

البائع الثمن والسلعة جميعًا كما فعل ببعير جابر، وتارةً كان يقترض الشيء فيرد أكثر منه وأفضل وأكبر، ويشتري الشي فيعطي أكثر من ثمنه، ويقبل الهدية ويكافئ عليها بأكثر منها أو بأضعافها تلطُّفا وتنوُّعا في ضروب الصدقة والإحسان بكلِّ ممكن، وكانت صدقُته وإحسانُه بما يملكه وبحاله وبقوله فيُخرجُ ما عنده ويأمر بالصدقة ويحضُّ عليها ويدعو إليها بحاله وقوله، فإذا رآه البخيلُ الشحيح دعاه حاله إلى البذل والعطاء وكان مَنْ خالَطَهُ وصحبَه ورأى هديه لا يملك نفسه من السماحة والندى، وكان هديه ﷺ يدعو إلى الإحسان والصدقة والمعروف ولذلك كان ﷺ أشرحَ الخلق صدرًا وأطيبَهم نفسًا وأنعمهم قلبًا، فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيرًا عجيبًا في شرح الصدر، وانضاف ذلك إلى ما خَصَّه الله به من شرح صدره بالنبوة والرسالة وخصائصها وتوابعها وشرح صدره حسًا وإخراج حظِّ الشيطان منه).

(زاد المعاد لابن القيم).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإحسان إلى الناس بكل خير

الحديث الخامس والعشرون

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "أحبُّ الناسِ إلى الله أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، و أحبُّ الأعمالِ إلى الله عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلم، أوْ يكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا، و لأنْ أَمْشِي مع أَخٍ لي في حاجَةٍ أحبُّ إِلَيَّ من أنْ اعْتكِفَ في هذا المسجدِ، يعني مسجدَ المدينةِ شهرًا، و مَنْ كَفَّ غضبَهُ سترَ الله عَوْرَتَهُ، و مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، و لَوْ شاءَ أنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ الله قلبَهُ رَجَاءً يومَ القيامةِ، و مَنْ مَشَى مع أَخِيهِ في حاجَةٍ حتى تتَهَيَّأَ لهُ أَثْبَتَ الله قَدَمَهُ يومَ تَزُولُ الأَقْدَامِ، [وإِنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفْسِدُ العَمَلَ، كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ]".

أخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط) (٦٠٢٦)، وأبو الشيخ في (التوبيخ والتنبيه) (٩٧) باختلاف يسير، وحسنه الألباني.

قال العلامة ابن القيِّم – رحمه الله –:

(مفتاح حصول الرَّحمة الإحْسَان في عبادة الخالق، والسَّعي في نفع عبيده).

(حادي الأرواح) (ص ٦٦).

وقال أيضًا: (فإنَّ الإحْسَان يفرح القلب ويشرح الصَّدر ويجلب النِّعم ويدفع النِّقم، وتركه يوجب الضَّيم والضِّيق، ويمنع وصول النِّعم إليه، فالجبن: ترك الإحْسَان بالبدن، والبخل: ترك الإحْسَان بالمال).

(طريق الهجرتين) (ص ٤٦٠).

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله تعالى – في أسباب شرح الصدر: (ومنها الإحسانُ إلى الخلق ونفعُهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع بالبدن وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرحُ الناس صدرًا وأطيبهم نفسًا وأنعمُهم قلبًا، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيقُ الناس صدرًا وأنكدهم عيشًا وأعظمُهم همًا وغمًا..). (زاد المعاد لابن القيم).

الشجاعة

الحديث السادس والعشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنِّي فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدَّر الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان".

أخرجه الإمام مسلم (٢٦٦٤).

قال الإمام النووي - رحمهالله -:

(والمراد بالقوة هنا، عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد، وأسرع

خروجًا إليه، وذهابًا في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة، والصوم، والأذكار، وسائر العبادات، وأنشط طلبًا لها، ومحافظةً عليها، ونحو ذلك).

(شرح النووي على صحيح مسلم) (٤/ ٢٠٥٢).

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله –:

"فإن الشجاع منشرح الصدر واسع البطان، متَّسع القلب،والجبان أضيق الناس صدراً، وأحصرهم قلباً، لا فرحة له ولا سرور ولا لذة له".

(زاد المعاد).

وقال ابن القيم: (الجبن والشَّجَاعَة غرائز وأخلاق، فالجبان يفر عن عرسه، والشجاع يقاتل عمَّن لا يعرفه، كما قال الشاعر:

يفر جبان القوم من أم نفسه ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه

www.alukah.net

والشجاع ضد البخيل؛ لأن البخيل يضن بماله، والشجاع يجود بنفسه، كما قال القائل:

كم بين قوم إنَّما نفقاتهم مال وقوم ينفقون نفوسا

(الفروسية) لابن القيم (ص ٤٩٨).

- وقال الذهبي: (الشَّجَاعَة والسخاء أخوان، فمن لم يجد بماله، فلن يجود بنفسه).

(سير أعلام النبلاء) للذهبي (١٩/ ٢٣٥).

صدق التوكل على الله

الحديث السابع والعشرون

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكُّله ؛ لرزقكم كما يرزق الطيرَ: تغدوا خماصًا وتروح بطانًا".

أخرجه الترمذي (٢٣٤٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (٢٠٥)، وصححه الألباني.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه".

قال الإمام ابن حبان رحمه الله: "الواجب على العاقل لزوم التوكل على من تكفَّل بالأرزاق؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان، وقرين التوحيد، وهو السبب المؤدي إلى نفق الفقر ووجود الراحة، وما توكل أحدٌ على الله جل وعلا من صحة قلبه حتى كان الله جل وعلا بما تضمن من

www.alukah.net

الكفالة أوثق عنده بما حَوَتْهُ يده، إلا لم يكِلْه الله إلى عباده، وآتاه رزقه من حيث لا يحتسب".

(روضة العقلاء).

الفرق بين التوكل والعجز:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "الفرق بين التوكل والعجز: أن التوكل عمل القلب وعبوديته اعتمادًا على الله، وثقةً به، والتجاءً إليه، وتفويضًا إليه، ورضًا بما يقضيه له لعلمه بكفايته سبحانه، وحسن اختياره لعبده، إذا فوَّض إليه مع قيامه بالأسباب المأمور بها، واجتهاده في تحصيلها.

أما العجز، فهو تعطيل الأمرين أو أحدهما، فإما أن يعطل السبب عجزًا عنه، ويزعم أن ذلك توكل، ولَعَمْرُ الله إنه لعجز وتفريط، وإما أن يقوم بالسبب ناظرًا إليه معتمدًا عليه، غافلًا عن المسبب معرضًا عنه، وإن خطر بباله لم يثبت معه ذلك الخاطر، ولم يعلق قلبه به تعلقًا تامًّا بحيث يكون قلبه مع الله، وبدنه مع السبب، فهذا توكله عجز، وعجزه توكل".

الصدق مع الله ومع الخلق

الحديث الثامن والعشرون

عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال حفظت من رسول الله ﷺ: "دع ما يَريبكَ إلى ما لا يَريبُكَ، فإنَّ الصِّدقَ طُمأنينةٌ وإنَّ الكذبَ رِيبةٌ".

أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، وأحمد (١٧٢٣) واللفظ لهما، والنسائي (٥٧١١) مختصراً، وصححه الألباني.

قال ابن القيم رحمه الله:

ليس للعبد شيء أنفع من صدقه ربَّه في جميع أموره، مع صدق العزيمة، فيصدقه في عزمه، وفي فعله، قال تعالى: (فإذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا الله لَكَانَ خَيْراً لَهُم) فسعادته في صدق العزيمة، وصدق

www.alukah.net

الفعل، فصدق العزيمة: جمعها، وجزمها، وعدم التردد فيها، بل تكون عزيمة، لا يشوبها تردد، ولا تلوُّم، فإذا صدقت عزيمته: بقي عليه صدق الفعل، وهو استفراغ الوسع، وبذل الجهد فيه، وأن لا يتخلف عنه بشيء من ظاهره، وباطنه، فعزيمة القصد تمنعه من ضعف الإرادة والهمة، وصدق الفعل يمنعه من الكسل، والفتور، ومَن صدَق الله في جميع أموره: صنع الله له فوق ما يصنع لغيره، وهذا الصدق معنى يلتئم من صحة الإخلاص، وصدق التوكل، فأصدَقُ الناس: مَن صح إخلاصُه، وتوكله.

"الفوائد"(ص ١٨٦، ١٨٧).

احتساب الأجر عند الهم والحزن

الحديث التاسع والعشرون

عن أبي بَكرِ بنُ أبي زُهَيرٍ الثَّقَفِي قال: قال أبو بَكْرٍ: يا رسولَ الله، كيف الصَّلاحُ بعدَ هذه الآيةِ: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]؟! فذكَرَ الحديثَ [أيْ حديثَ: فكلُّ سُوءٍ عَمِلْنا جُزِينا به؟! فقال رسولُ الله ﷺ: غفَرَ الله لك يا أبا بَكْرٍ، ألستَ تَمرَضُ؟ ألستَ تَنصَبُ؟ ألستَ تَحزَنُ؟ ألستَ تُصيبُك اللَّأْواءُ؟، قال: بلى. قال: فهو ما تُجزَوْنَ به]".

أخرجه الإمام أحمد (٧٠) واللفظ له، وأبو يعلى (٩٨)، وابن حبان (٢٩١٠) باختلاف يسير، وصححه الألباني.

في هذا الحديثِ تَسليةٌ بَالغةٌ وإِعلامٌ بِأَنَّه لا يَنالُ العبدَ شَيءٌ إلَّا كَفَّرَ

www.alukah.net

الله به عنه مِن خَطايَاه، فيقولُ أبو بَكرِ بنُ أبي زُهَيرٍ الثَّقَفِي: "قال أبو بَكرٍ: يا رسول الله، كيف الصَّلاحُ بعد هذه الآيَةِ"بمَعنَى صَلاحِ الآخِرَةِ والنَّجاةِ من عَذابِها، وقيل: صَلاحُ الدنيا على وَجهٍ يؤدِّي إلى نَجاةِ الآخِرَةِ، أو: كيف يتَّصِف الإنسانُ بالصَّلاحِ بعد نُزولِ قَولِه تَعالَى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]؟! والمعنى: ما مِن ذَنبٍ يَفعَلُه الإنسانُ إلا ويُحاسِبُه به الله عزَّ وجلَّ، والخَشيَةُ هنا من أبي بَكرٍ إنَّما هي من عذابِ الآخِرَةِ الذي سيَجتَمِعُ على المُسلِمِ بما كَسَب من السَّيِّئاتِ، - فذَكَر الحديثَ، أي حديثَ: "فكلُّ سوءٍ عَمِلنا جُزِينا به؟!"- بمعنى: لو أنَّ كلَّ ذَنبٍ أَخَذَنا الله به؛ فكيف النَّجاةُ من عذابِ الله عزَّ وجلَّ؟، فقال رسول الله ﷺ: "غَفَر الله لك يا أبا بَكرٍ، أَلَستَ تَمرَضُ؟"فتُصيبكَ الأوجاعُ والأمراضُ،"أَلَسْتَ تَنصَبُ؟"والنَّصبُ التَّعَبُ والمَشَقَّةُ،"أَلَسْتَ تَحزَنُ؟"من الحُزنِ وهو الذي يُصاحِبُ المَصائِبَ،"أَلَسْتَ تُصيبُك اللَّأْواءُ؟"، وهي الشِّدَّةُ وضيقُ المَعيشَةِ،"قال: بلى"تُصيبُني كلُّ هذه الأُمورُ، قال النبي ﷺ: "فهو ما تُجْزَون به"؛ أي: أنَّ المُسلِمَ يُجازَى بأعمالِهِ السَّيِّئَةِ في الدُّنيا

بالمَصائبِ والمِحَنِ حتَّى يَخرُجَ من الدُّنيا طاهِرًا من الذُّنوبِ؛ فالابتِلاءُ في الدُّنيا يُكَفِّرُ ذُنوبَ المُسلِمِ، ويَحفَظُ له آخِرَتَه؛ حتَّى إنَّ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: "وما يَزالُ البَلاءُ بالعَبدِ حتَّى يَمشِيَ على الأرضِ وليس عَلَيه خَطيئَةٌ".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحديث الثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللهُ بهَا مِن خَطَايَاه".

أخرجه الإمام البخاري (٥٦٤٢) واللفظ له، والإمام مسلم (٢٥٧٣).

الحديث الحادي والثلاثون

عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: "ما مِن مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ الله بها عنْه، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشاكُها".

أخرجه الإمام البخاري (٥٦٤٠)، والإمام مسلم (٢٥٧٢).

وفي لفظ:

(ما يُصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه). أخرجه الإمام البخاري برقم (٥٣١٨).

www.alukah.net

الحديث الثاني والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى الله وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ".

أخرجه الترمذي (٢٣٩٩)، وصححه الألباني.

الحديث الثالث والثلاثون

عَنْ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً، قَالَ: "الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ".

أخرجه الترمذي (٢٣٩٨) وابن ماجه (٤٠٢٣)،وصححه الألباني.

التحلي بالصبر

الحديث الرابع والثلاثون

عن صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له".

أخرجه الإمام مسلم (٢٩٩٩).

الصَّبرُ مِن الأخلاقِ الفاضِلةِ والخِصالِ النَّبيلةِ الَّتي أمَرَ اللهُ تعالَى بها، ورَغَّب فيها وبَيَّن فَضْلَها.

في هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: "عَجَبًا لِأمرِ المُؤمنِ"؛ فأَظهَرَ النَّبيُّ ﷺ العَجبَ على وَجهِ الاستحسانِ لشَأنِ المُؤمِنِ وأحوالِه؛ وذلك لأنَّ أحوالَ المؤمنِ كلَّها فيها خَيرٌ، وليْسَ ذَلك لأحدٍ إلَّا المؤمنُ، فكُلُّ

إنسانٍ في قَضاءِ الله وقَدَرِه بينَ أَمرينِ: مُؤمنٍ وغَيرِ مُؤمنٍ، فالمؤمنُ إنْ أَصابتْه سَرَّاءُ مِن نِعمةٍ دِينيَّةٍ؛ كالعِلمِ والعَملِ الصَّالحِ، ونِعمةٍ دُنيويَّةٍ؛ كالمالِ والبَنينَ والأَهلِ، شَكَرَ الله، فهو يَعرِفُ حقَّ الله في تلكَ النِّعمةِ وما قُدِّرَ له منها، فيقومُ بالطَّاعةِ والعبادةِ والقُربِ مِن الله عزَّ وجلَّ امتنانًا وشُكرًا له سُبحانه، فيَحصُلُ له الأجْرُ في الآخِرةِ، ويُضافُ لهذا الشُّكرِ فَرَحُه الَّذي يَشمَلُه بتلكَ النِّعمةِ، وكذلك فإنَّ المؤمنَ إذا أصابتْه الضَّراءُ مِن فَقرٍ، أو مَرَضٍ، أو بَلِيَّةٍ، أو ضَرَرٍ؛ صَبرَ عَلى أَقدارِ الله، وانْتَظَر الفَرَجَ مِن الله، واحْتَسبَ الأجْرَ عَلى الله، ولَجَأَ إليه تعالَى في كَشْفِها، فكان الصَّبرُ خَيرًا له؛ لأنَّه يُثابُ على صَبرِه، ويَحُوزُ أجْرَ الصَّابِرينَ الَّذين يُوفَّونَ أُجورَهم بغيرِ حِسابٍ؛ فكان أمرُه كُلُّه خيرًا، فَكان ذلكَ خَيرًا له.

فالإيمانُ بقَضاءِ الله وقَدَرِه يَجعَلُ المؤمِنَ في رِضًا كامِلٍ على كُلِّ أَحوالِه، بخِلافِ غَيرِ المُؤمِنِ الَّذي يَكونُ في سَخَطٍ دائِمٍ عندَ وُقوعِ ضَررٍ عليه، وإذا ما حاز نِعمةً مِن الله عزَّ وجلَّ انشَغَلَ بها عن طاعتِه، فضْلًا عن صَرفِها في مَعصيةٍ.

www.alukah.net

الحديث الخامس والثلاثون

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ومَن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله، وما أُعْطِيَ أحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ".

أخرجه الإمام البخاري (١٤٦٩).

قولُه: "ومَن يَتَصبَّرْ يُصَبِّرْه الله"، أي: ومَن يُعالِجِ نفْسَه بالصَّبرِ ويَتكلَّفْه على ضِيقِ العَيشِ وغيرِه مِن مَكارِه الدُّنيا؛ يَملأِ الله قَلْبَه به، ومَن بَذَلَ الأسبابَ وحَرَصَ على الصَّبرِ؛ فإنَّ الله تعالَى يُوفِّقُه لتَحصيلِه، ويَجعَلُه يَتَّصفُ به.

ثمَّ بيَّن أنَّه ما أعْطَى الله أحدًا نِعمةً ولا خُلُقًا كَريمًا أفضَلَ ولا أوسَعَ مِن الصَّبرِ؛ لأنَّه يَتَّسِعُ لكُلِّ الفَضائلِ، فكُلُّها تَصدُرُ عنه، وتَعتَمِدُ عليْه؛ مِن عِفَّةٍ، وشَجاعةٍ، وعَزيمةٍ، وإرادةٍ، وإباءٍ، وغَيرِها، والإنسانُ إذا كان صَبورًا تَحمَّلَ كُلَّ مَكروهٍ بإذْنِ الله تعالَى.

وفي الحَديثِ: أنَّ الأخلاقَ الكريمةَ يُمكِنُ اكتِسابُها والوصولُ إليها عن طَريقِ التعوُّدِ عليها.

الحديث السادس والثلاثون

عَنْ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ الله، قَالَ: "ضَافَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَزْوَاجِهِ يَبْتَغِي عِنْدَهُنَّ طَعَامًا، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ، فَقَالَ: اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا أَنْتَ.

فَأُهْدِيَتْ إِلَيْهِ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَقَالَ: هَذِهِ مِنْ فَضْلِ الله، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ".

أخرجه الطبراني (١٠/ ٢٢٠) (١٠٣٧٩)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء) (٥/ ٣٦)، وصححه الألباني.

كان النَّبيُّ ﷺ أكرمَ الناسِ، وكان يُكرِمُ الضِّيفانَ، ولكنَّه كان يَعيشُ على الكَفافِ؛ فكان بَيْتُه يَخْلو مِنَ الطَّعامِ في أَحايينَ كَثيرةٍ، وكان يَطلُبُ الرِّزْقَ من الله مع الصَّبْرِ على شِدَّةِ العَيْشِ دُون ضَجَرٍ، وهذا الحَديثُ يُبيِّنُ جانِبًا من ذلك، وهو جُزءٌ من حديثٍ، وفيه -كما في

www.alukah.net

روايةِ أبي نُعيم في الحِليةِ- يقولُ عبدُ الله بنُ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه: "أَضافَ النَّبيُّ ﷺ ضَيْفًا"أي: اسْتَضافَه في بَيْتِه ﷺ: "فَأَرْسَلَ إلى أَزْواجِه يَبْتَغي مِنهنَّ طَعامًا"، أي: يَطلُبُ منهنَّ طَعامًا؛ لِيُكرِمَ به ضَيْفَه،"فَلَمْ يَجِدْ، فَقالَ: اللهمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ من فَضْلِكَ"، أي: سَعَةِ جُودِكَ"ورَحْمَتِكَ"التي وَسِعَتْ كُلَّ شيءٍ"فإنَّه لا يَملِكُها إلَّا أَنْتَ"، أي: لا يَملِكُ الفَضْلَ والرَّحْمَةَ غيْرُك؛ فإنَّك مُقدِّرُهما ومُرسِلُهما، فلا يُطْلَبانِ إلَّا منك،"فأُهْدِيَتْ إليه شاةٌ مَصْليَّةٌ"، أي: مَشْوِيَّةٌ، وفي هذا دَلالَةُ سُرْعةِ اسْتِجابَةِ الله عزَّ وجلَّ لنبيِّه ﷺ، وهذا من ثِقَةِ النَّبيِّ ﷺ وإيمانِه بالله عزَّ وجلَّ، فقال النَّبيُّ ﷺ: "هذه من فَضْلِ الله"، أي: للرِّزْقِ الذي أرسَلَه الله عزَّ وجلَّ،"ونحنُ نَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ"، تَقْريرٌ أنَّ العبدَ تحتَ رَحْمةِ ربِّه كُلَّ وَقْتٍ، وفي كُلِّ حالٍ، وهو دائِمًا يَرْجوها.

وفي الحَديثِ: الدُّعاءُ عندَ ضِيقِ الرِّزْقِ.

وفيه: الحَثُّ على شُكْرِ الله عندَ بُلوغِ النِّعَمِ.

الحديث السابع والثلاثون

عن عليٍّ رضي الله عنه، أنَّ مُكاتبًا جاءَهُ فقالَ: إنِّي قد عَجزتُ عَن مكاتبتي فأعنِّي، قالَ: ألا أعلِّمُكَ كلِماتٍ علَّمَنيهنَّ رسولُ الله ﷺ لو كانَ عَليكَ مثلُ جَبلِ صيرٍ دينًا أدَّاهُ الله عَنكَ، قالَ: قُل: اللهمَّ اكفني بِحلالِكَ عن حرامِكَ، وأغنِني بِفَضلِكَ عَمن سواكَ".

أخرجه الترمذي (٣٥٦٣)، وحسنه الألباني.

www.alukah.net

الحديث الثامن والثلاثون

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضيالله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كان يقولَ عند نومه: "اللهمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بكَ مِن شَرِّ كُلِّ شَيءٍ أَنْتَ آخِذٌ بنَاصِيَتِهِ، اللهمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فليسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فليسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فليسَ فَوْقَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فليسَ دُونَكَ شَيءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ".

أخرجه الإمام مسلم (٢٧١٣).

علاج طبيعي للهم والحزن

الحديث التاسع والثلاثون

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا، أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ، ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتْ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: كُلْنَ مِنْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُول: "التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ".

أخرجه الإمام البخاري (٥١٠١)، والإمام مسلم (٢٢١٦).

وفي لفظ:

"أَنَّهَا كَانَتْ تَأْمُرُ بِالتَّلْبِينِ لِلْمَرِيضِ وَلِلْمَحْزُونِ عَلَى الْهَالِكِ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ التَّلْبِينَةَ تُجِمُّ فُؤَادَ الْمَرِيضِ،

www.alukah.net

وَتَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ".

أخرجه البخاري (٥٣٦٥) ومسلم (٢٢١٦).

قال النووي:

"(مجَمَّةٌ) وَيُقَال: (مُجِمَّةٌ) أَيْ: تُرِيح فُؤَاده وَتُزِيل عَنْهُ الْهَمّ وَتُنَشِّطهُ" انتهى.

وواضح من الحديثين أنه يعالج بها المريض، وتخفف عن المحزون حزنه، وتنشط القلب وتريحه.

والتلبينة: حساء يُعمل من ملعقتين من مطحون الشعير بنخالته، ثم يضاف لهما كوب من الماء، وتطهى على نار هادئة لمدة ٥ دقائق.

وبعض الناس يضيف عليها ملعقة عسل.

وسمِّيت "تلبينة" تشبيهاً لها باللبن في بياضها ورقتها.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في تعريف التلبينة:

"طعام يتخذ من دقيق أو نخالة، وربما جُعل فيها عسل، سميت بذلك لشبهها باللبن في البياض والرقة، والنافع منه ما كان رقيقاً نضيجاً، لا غليظاً نيئاً" انتهى.

"فتح الباري"(٩ / ٥٥٠).

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله –:

"(التلبين) هو: الحساء الرقيق الذي هو في قوام اللبن، ومنه اشتق اسمه. قال الهروي:

"سميت تلبينة: لشبهها باللبن، لبياضها ورقتها". وهذا الغذاء هو النافع للعليل، وهو الرقيق النضيج، لا الغليظ النيئ. وإذا شئت أن تعرف فضل التلبينة: فاعرف فضل ماء الشعير، بل هي أفضل من ماء الشعير لهم: فإنها حساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته. والفرق بينها وبين ماء الشعير: أنه يطبخ صحاحا، والتلبينة تطبخ منه مطحونا.

وهى أنفع منه لخروج خاصية الشعير بالطحن.

وقد تقدم: أن للعادات تأثيرا في الانتفاع بالأدوية والأغذية. وكانت عادة القوم أن يتخذوا ماء الشعير منه مطحونا، لا صحاحا. وهو أكثر تغذية، وأقوى فعلا، وأعظم جلاء. وإنما أطباء المدن منه صحاحا: ليكون أرق وألطف، فلا يثقل على طبيعة المريض. وهذا بحسب طبائع أهل المدن ورخاوتها، وثقل ماء الشعير المطحون عليها.

www.alukah.net

والمقصود: أن ماء الشعير مطبوخا صحاحا، ينفذ سريعا، ويجلو جلاء ظاهرا، ويغذى غذاء لطيفا. وإذا شرب حارا: كان إجلاؤه أقوى، ونفوذه أسرع، وإنماؤه للحرارة الغريزية أكثر، وتلميسه لسطوح المعدة أوفق.

وقوله ﷺ: "فيها مجمة لفؤاد المريض"، يروى بوجهين: بفتح الميم والجيم، وبضم الميم وكسر الجيم. والأول أشهر. ومعناه: أنها مريحة له، أي تريحه وتسكنه. من"الاجمام"وهو: الراحة.

وقوله: "ويذهب ببعض الحزن"، هذا - والله أعلم -: لان الغم والحزن يبردان المزاج، ويضعفان الحرارة الغريزية: لميل الروح الحامل لها إلى جهة القلب، الذي هو منشؤها. وهذا الحساء يقوى الحرارة الغريزية: بزيادته في مادتها، فتزيل أكثر ما عرض له: من الغم والحزن. وقد يقال - وهو أقرب: إنها تذهب ببعض الحزن، بخاصية فيها من جنس خواص الأغذية المفرحة. فإن من الأغذية ما يفرح بالخاصية. والله أعلم.

وقد يقال: إن قوى الحزين تضعف باستيلاء اليبس على أعضائه، وعلى معدته خاصة، لتقليل الغذاء. وهذا الحساء يرطبها ويقويها ويغذيها، ويفعل مثل ذلك بفؤاد المريض.

لكن المريض كثيرا ما يجتمع في معدته خلط مراري أو بلغمي أو صديدي، وهذا الحساء يجلو ذلك عن المعدة ويسروه، ويحدره ويميعه، ويعدل كيفيته، ويكسر سورته - فيريحها، ولا سيما لمن عادته الاغتذاء بخبز الشعير. وهى عادة أهل المدينة إذ ذاك. وكان هو غالب قوتهم، وكانت الحنطة عزيزة عندهم. والله أعلم".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العطور الزكية

الحديث الأربعون

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "حُبِّبَ إليَّ من دُنْياكمُ النِّساءُ والطِّيبُ وجُعِلَت قُرَّةُ عَيني في الصَّلاةِ".

أخرجه النسائي (٣٩٣٩) واللفظ له، وأحمد (١٣٠٧٩)، وصححه الألباني.

وقال ابن القيم في زاد المعاد:

وكان ﷺ يكثر التطيب، ويحب الطيب، وكان لا يرد الطيب، وثبت عنه في حديث رواه مسلم أنه قال: "من عرض عليه ريحان فلا يرده، فإنه طيب الرائحة خفيف المحمل "وبعضهم يرويه: "من عرض عليه طيب فلا يرده"وكان لرسول الله ﷺ سكة [وعاء الطيب] يتطيب

منها، وكان أحب الطيب إليه المسك.

وقال أيضاً رحمه الله تعالى في كتابه زاد المعاد:

"فصل: في هديه ﷺ في حفظ الصحة بالطيب.

لما كانت الرائحة الطيبة غذاء الروح، والروح مطية القوى، والقوى تزداد بالطيب، وهو ينفع الدماغ والقلب، وسائر الأعضاء الباطنية، ويفرح القلب، ويسر النفس ويبسط الروح، وهو أصدق شيء للروح، وأشده ملاءمة لها، وبينه وبين الروح الطيبة نسبة قريبة.

كان أحد المحبوبين من الدنيا إلى أطيب الطيبين صلوات الله عليه وسلامه.

وقال رحمه الله تعالى:

وكان ﷺ يكثر التطيب، وتشتد عليه الرائحة الكريهة وتشق عليه.

والطيب غذاء الروح التي هي مطية القوى، تتضاعف وتزيد بالطيب، كما تزيد بالغذاء والشراب والدعة والسرور ومعاشرة الأحبة وحدوث الأمور المحبوبة.

www.alukah.net

والمقصود أن الطيب كان من أحب الأشياء إلى رسول الله ﷺ، وله تأثير في حفظ الصحة ودفع كثير من الآلام وأسبابها بسبب قوة الطبيعة به"انتهى.

"زاد المعاد"(٤/ ٣٠٨).

كثرة ذكر الله تعالى

الحديث الحادي والأربعون

عن عبدالله بن بسر رضي الله عنه، أنَّ رجلًا قال: يا رسولَ الله إنَّ شرائعَ الإسلامِ قد كثُرت عليَّ فأخبِرني بشيءٍ أتشبَّثُ به؟ قال: "لا يزالُ لسانُك رطبًا من ذكرِ الله".

أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، وصححه الألباني.

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله –:

"دوام ذكره على كل حال وفي كل موطن فللذكر تأثير عجيب في انشراح الصدر ونعيم القلب وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه وحبسه وعذابه".

[زاد المعاد في هدي خير العباد].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفزع إلى التسبيح

الحديث الثاني والأربعون

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "لقَّنَني رسولُ الله ﷺ هؤلاء الكلماتِ وأَمَرني إنْ نزَل بي كَرْبٌ أو شِدَّةٌ أنْ أَقولَهُنَّ: لا إلهَ إلَّا الله الكريمُ الحليمُ، سُبحانَه، وتَبارَك الله ربُّ العرشِ العظيمِ، والحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ".

أخرجه الإمام أحمد في "مسنده " (٧٢٦)، بإسناد صحيح.

عن أبي عبيدة عن عبد الله - يعني ابن مسعود رضي الله عنه - قال: "ما كرب نبي من الأنبياء إلا استغاث بالتسبيح".

وجزم ابن القيم رحمه الله في"الجواب الكافي"(ص ٧) بنسبته إلى ابن مسعود رضي الله عنه.

ومعنى هذا الكلام – على فرض صحته عن ابن مسعود – أن التسبيح كان استغاثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عند الشدائد والكروب، فإذا ألمّ بأحدهم كرب، أو نزلت به نازلة، فزع إلى ربه بالتسبيح، وهو من التوسل المشروع بالعمل الصالح.

فمعنى قوله: "إلا استغاث بالتسبيح": أي استغاث بالثناء على الله بتسبيحه وتنزيهه عن النقائص والعيوب، وقد يقوم الثناء على الله تعالى مقام الدعاء، أو يتضمنه، كما سيأتي في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال ابن القيم رحمه الله:

"نفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب وهو طلب المحب، فهو دعاء حقيقة بل أحق أن يسمى دعاء من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه. والمقصود أن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه"انتهى.

ويشهد لذلك – في الجملة – قول الله عز وجل: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ

www.alukah.net

الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنبياء / ٨٧ - ٨٨

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. الصافات: ١٤٣ - ١٤٤.

وروى البخاري (٣٣٩٦) ومسلم (٢٣٧٧) عن ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى).

وروى علي بن الجعد في "مسنده" (٦٧) عن علي رضي الله عنه قال: "لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى، سبح الله عز وجل في الظلمات".

قال الحافظ رحمه الله:

"وفي رواية للطحاوي: "إنه سبح الله في الظلمات"فأشار إلى جهة الخيرية المذكورة"

انتهى.

وقد روى الحاكم (١٨٦٤) عن سعد رضي الله عنه قال: كنا جلوسا

عند النبي ﷺ فقال: (ألا أخبركم بشيء إذا نزل رجل منكم كرب أو بلاء من بلايا الدنيا دعا به يفرج عنه؟) فقيل له: بلى فقال: (دعاء ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين).

صححه الألباني في "الصحيحة" (١٧٤٤).

فهذا ونحوه يدل بقوة على أن التسبيح يكشف الله به الكرب عن عبده المؤمن، نبيا كان أو غيره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قول لا حول ولا قوة إلا بالله

الحديث الثالث والأربعون

عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: "أَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله، فَإِنَّهَا مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ".

قَالَ مَكْحُولٌ: "فَمَنْ قَالَ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله وَلاَ مَنْجَى مِنَ الله إِلاَّ إِلَيْهِ، كَشَفَ عَنْهُ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الضُّرِّ أَدْنَاهُنَّ الفَقْرُ).

أخرجه الترمذي (٣٦٠١)، وحسنه الألباني، دون قول مكحول، فهو مقطوع من قوله.

قال العلامة ابن القيم – القيم رحمه الله –:

"وَيُذْكَرُ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "مَن كَثُرَتْ هُمُومُهُ وغُمُومُهُ، فَلْيُكْثِرْ مِن قَوْلِ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا بِالله".

وَثَبَتَ فِي "الصَّحِيحَيْنِ": أَنَّهَا كَنْزٌ مِن كُنُوزِ الجَنَّةِ.

وَأَمّا تَأْثِيرُ (لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا بِالله) فِي دَفْعِ هَذا الدّاءِ [جَوى القَلْبِ وغَمِّهِ وهَمِّهِ وحُزْنِهِ] فَلِما فِيها مِن كَمالِ التَّفْوِيضِ، والتَّبَرِّي مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ، إلّا بِهِ وتَسْلِيمِ الأمْرِ كُلِّهِ لَهُ، وعَدَمِ مُنازَعَتِهِ فِي شَيْءٍ مِنهُ، وعُمُومُ ذَلِكَ لِكُلِّ تَحَوُّلٍ مِن حالٍ إلى حالٍ فِي العالَمِ العُلْوِيِّ، والسُّفْلِيِّ، والقُوَّةِ عَلى ذَلِكَ التَّحَوُّلِ، وأنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالله، وحْدَهُ فَلا يَقُومُ لِهَذِهِ الكَلِمَةِ شَيْءٌ.

وَفِي بَعْضِ الآثارِ إنَّهُ ما يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنَ السَّماءِ، ولا يَصْعَدُ إلَيْها إلّا بِلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا بِالله، ولَها تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي طَرْدِ الشَّيْطانِ والله المُسْتَعانُ".

(زاد المعاد).

إياك والتسخط فإنه سبب الهم والغم والحزن

الحديث الرابع والأربعون

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إنَّ عِظمَ الجزاءِ مع عِظمِ البلاءِ، وإنَّ الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمَن رَضي فله الرِّضَى، ومَن سخِط فله السَّخطُ".

أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وحسنه الألباني.

مِن حِكمةِ الله تعالى أنَّه يَبتلِي عِبادَه ويختبرُهم؛ ليَعلمَ المؤمِنَ المطيع الراضي من العاصي الساخط، والبلاءُ يَكونُ بالسَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، وفي هذا الحَديثِ يقولُ الرَّسولُ ﷺ: "إنَّ عِظَمَ الجَزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ"، أي: كلَّما كَثُر وزاد البلاءُ زادَتِ الحسَناتُ في مُقابِلِ ذلك، ثمَّ بيَّن النَّبيُّ ﷺ أسبابَ البَلاءِ، وأنَّها دَليلُ خيرٍ، إنْ قُوبِلَت بالرِّضا، فقال: "وإنَّ الله إذا أَحَبَّ قومًا ابتَلاهم"، أي: اختَبرهم بالمِحَنِ والمصائبِ،"فمَن

رَضِي فله الرِّضا"، أي: مَن قابَل هذه البلايا بالرِّضا، فسيَرْضى الله سبحانه وتعالى عنه، ويُجْزيه الخيرَ والأجْرَ في الآخِرَةِ، وقد يُفهَمُ منه أنَّ رِضا الله تعالى مَسبوقٌ برِضا العبدِ، ومُحالٌ أن يَرضى العبدُ عن الله إلَّا بعد رِضا الله عنه، كما قال: ﴿رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، ومحالٌ أن يَحصُلَ رِضا الله ولا يَحصُلَ رِضا العبدِ في الآخِرةِ، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨]؛ فعَن الله الرِّضا أزَلًا وأبدًا، سابقًا ولاحقًا.

ومَن سَخِط فله السُّخطُ"، أي: مَن قابَل هذه البلايا بعَدَمِ الرِّضا؛ مِن كُرهٍ لوُقوعِها وسَخَطٍ، فإنَّه يُقابَلُ بمِثلِ ذلك، وهو أنَ يَغضَبَ الله عليه، فلا يَرضَى عنه، وله العِقابُ في الآخرةِ؛ وذلك أنَّ المصائِبَ والعِللَ والأمراضَ كفَّاراتٌ لأهلِ الإيمانِ، وعُقوباتٌ يُمحِّصُ الله بها مَن شاء مِنهم في الدُّنيا؛ لِيَلقَوْه مُطَهَّرين مِن دنَسِ الذُّنوبِ في الآخرةِ، وهي لأهلِ العِصْيانِ كُروبٌ وشَدائِدُ وعذابٌ في الدُّنيا، ومع عدَمِ رِضَاهُم وتَسليمِهم لقضاءِ الله فلا يكونُ لهم أجرٌ في الآخرةِ.

وفي الحديثِ: الحثُّ على الصَّبرِ والرِّضا إذا وقَع البلاءُ.

www.alukah.net

قال العلامة ابن القيم – رحمهالله –:

"إنَّ السخط يوجب تلوُّن العبد، وعدم ثباتِه مع الله؛ فإنَّه لا يرضى إلاَّ بما يلائم طبعَه ونفسه، والمقادير تجري دائمًا بما يلائمه وبما لا يلائمه، وكلَّما جرى عليه منها ما لا يلائِمُه أسخطه، فلا تثبُت له قدَم على العبودية، فإذا رَضِي عن ربِّه في جميع الحالات، استقرَّت قدمُه في مقام العبوديَّة، فلا يزيل التلوُّنَ عن العبد شيءٌ مثل الرِّضا".

(مدارج السالكين).

قَالَ عبدالله بن مَسْعُودٍ رضي الله عنه:

"الْيَقِينُ أَنْ لَا تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ الله وَلَا تَحْمَدَ أَحَدًا عَلَى رِزْقِ الله، وَلَا تَلُمْ أَحَدًا عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ الله عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ الرِّزْقَ لَا يَسُوقُهُ حِرْصُ حَرِيصٍ وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ، فَإِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقِسْطِهِ وَعِلْمِهِ وَحِلْمِهِ جَعَلَ الرَّوْحَ وَالْفَرَجَ فِي الْيَقِينِ وَالرِّضَا، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحَزَنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ".

أخرجه ابن أبي الدنيا في (اليقين) (٣١) بإسناد صحيح.

تم بحمد الله

www.alukah.net
نسخة الألوكة

الفهرست

الموضـــــوع	رقم الصفحة
مدخل	٥
الحديث الأول	٢٥
الحديث الثاني	٢٧
الحديث الثالث	٢٩
الحديث الرابع	٣٠
الحديث الخامس	٣٢
الحديث السادس	٣٤
الحديث السابع	٣٦
الحديث الثامن	٣٨
الحديث التاسع	٤٠
الحديث العاشر	٤٢
الحديث الحادي عشر	٤٣
الحديث الثاني عشر	٤٥
الحديث الثالث عشر	٤٦

الموضـــــوع	رقم الصفحة
الحديث الرابع عشر	٤٩
الحديث الخامس عشر	٥٧
الحديث السادس عشر	٧٠
الحديث السابع عشر	٧١
الحديث الثامن عشر	٧٥
الحديث التاسع عشر	٨٢
الحديث العشرون	٨٩
الحديث الحادي والعشرون	٩٤
الحديث الثاني والعشرون	٩٧
الحديث الثالث والعشرون	١٠٢
الحديث الرابع والعشرون	١٠٥
الحديث الخامس والعشرون	١٠٨
الحديث السادس والعشرون	١١٠
الحديث السابع والعشرون	١١٣
الحديث الثامن والعشرون	١١٥
الحديث التاسع والعشرون	١١٧
الحديث الثلاثون	١٢٠
الحديث الحادي والثلاثون	١٢١

www.alukah.net
نسخة الألوكة

الموضـــــوع	رقم الصفحة
الحديث الثاني والثلاثون	١٢٢
الحديث الثالث والثلاثون	١٢٣
الحديث الرابع والثلاثون	١٢٤
الحديث الخامس والثلاثون	١٢٦
الحديث السادس والثلاثون	١٢٧
الحديث السابع والثلاثون	١٢٩
الحديث الثامن والثلاثون	١٣٠
الحديث التاسع والثلاثون	١٣١
الحديث الأربعون	١٣٦
الحديث الحادي والأربعون	١٣٩
الحديث الثاني والأربعون	١٤٠
الحديث الثالث والأربعون	١٤٤
الحديث الرابع والأربعون	١٤٦
الفهرست	١٥٠